حَادِثَةُ الإفْكِ وَأبرزُ مَعَالِمِ دُروسِ الإستِفادةِ مِنه في ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيم

م. م . محمود عقيل معروف العاني
كلية العلوم الاسلامية–جامعة الانبار

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى وعلى آله وصحبه ومن والاه وسلم تسليماً كثيرا ، وبعد :

فإنّ هذا البحث يتناول أهم وأبرز ما تناولته الحادثة من الحوادث التي تعرض لها بيت النبوة وكادت أنْ تمسّ الحياة الخاصة للنبي محمد ﷺ ، تلك هي حادثة الإفك ، ومحنة الإفك والبهتان ، وأخبث مكايد النفاق ولؤم المنافقين ، وأخطرها .

وإذا كانت المعارك الحربية لها أثرها الواضح في حياة الأمم والشعوب ولها خطرها على حاضرهم ومستقبلهم ، فإنّ المعارك الإعلامية والنفسية لا تقل خطورة عنها .

(ولعل حادثة الإفك كانت معركة من أضخم المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ لكنه خرج منها منتصراً ، ولعل الآلام التي سببتها له تلك المحنة كانت من أعظم الآلام التي مرت به ، ولعل الخطر على الإسلام من تلك الفرية كان من أشدّ الأخطار التي تعرض لها في تاريخه) ([1]) .

ولكن بحسب ما كان فيها من آلام ومخاطر وجروح وشرور ، كان فيها خير كثير للمسلمين في حاضرهم ومستقبلهم ، وصدق الله تعالى : ﴿ **لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ** ﴾ ([2]) .

إنَّ نفوس المنافقين لم تسترح من الكيد للإسلام ، والدس على المسلمين ، حتى استهدفت صاحب الرسالة العظمى محمد بن عبد الله ﷺ ، فرموه في أقدس شيء وأعزّه ، في عرضه المصون ، وأهله الطاهرة البريئة السيدة عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما .

وقد حاولوا بذلك أنْ يوجهوا ضربة للإسلام في الصميم ، في شخصه الكريم عن طريق الطعن في عرضه ، واتهام أهله بارتكابها فاحشة الزنا التي هي من أقبح الجرائم وأشنعها على الإطلاق ، وقد أنزل الله تعالى في شأنها قرآناً يُتلى وآيات تُسطّر ، ليكون درساً وعبرة للأمة ، لتعرف فيه خطر النفاق والمنافقين وضررهم على الأمة الإسلامية ، فيأخذوا الحيطة والحذر .

لقد كلفت الحادثة هذه أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاماً لا تُطاق ، وكلّف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل ، وزرع في بعض النفوس الشك والريبة والقلق ، وروّجت الدعايات المغرضة ضد صاحب الرسالة واختلاق الإفك والبهتان ضد المحصنات الغافلات المؤمنات في تلك الحادثة المفجعة الأليمة .

والبحث هذا إذ يلقي الضوء ليكشف عن بعض وجوه الخيرية في هذه الحادثة، وذلك من خلال دروس كثيرة سيتم استنباطها من ثنايا هذا الحدث الجلل . وسيكشف البحث عن وجهة المنطلقات الأساسية التي انطلق منها والأهداف التي استهدفها ، فهي تدور في بيان مكانة البيت النبوي ، وكيف أمكنه من معالجة المشاكل الزوجية وحلّها ، ولاسيما أنَّها كانت مماسة للأعراض ، وكذلك منزلة آل الصديق ، وتوضيح ذلك الجانب غاية في الأهمية ، إذ أنَّه يعالج الأخطاء الشائعة في الأوساط الإسلامية في تعاملهم مع هذا الموضوع الحساس في حياتهم الزوجية .

وكما سنبيّن فيه دور المنافقين ، وقضايا أخرى مما له علاقة بدراسة حياة النبي ﷺ وصبره وقصد النيل منه ، وكذا المجتمع الذي يعيش فيه من الناحية النفسية والإعلامية والشؤون الاجتماعية ودور الإشاعة وغيرها .

أما منهجي في البحث فقد عمدت أنْ لا أخوض في غير ما قصدت من مرادي لبيان الدروس المستقاة من غير تدخل في الأحكام الشرعية وجوانب أخرى ، فهي لا شكّ فيها من الأمور ذات الكم الهائل التي لا يحصيها كبير عدد من الصفحات ، مع رجوعي إلى المظان المعتبرة وتوثيق النصوص حسب المنهج العلمي الرصين .

وأما خطة البحث ، فقد اشتملت على مقدمة ومبحثين :

أما المقدمة : فبينت فيها أهمية البحث وسبب اختياره .

وأما المبحث الأول : فقد اشتمل على تعريف عام بالحادثة وبيان زمكانية وقوعها .

وأما المبحث الثاني : فقد اشتمل على أبرز معالم دروس الإستفادة من الحادثة .

هذا ؛ ومن الله تعالى أستمدّ العون والمدد ، فما كان من صواب فمن الله ، وأحمده على ذلك ومن دلّني عليه ، وما كان من خطأ فمن نفسي وأستغفر الله منه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا .

المبحث الأول
تعريف عام بالحادثة وبيان زمكانية وقوعها

المطلب الأول
الآيات الواردة في الحادثة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ * الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٣) .

المطلب الثاني
التفسير الإجمالي للنصوص

١- **﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ ﴾** : (أي بأبلغ ما يكون من الكذب والإفتراء ، وقيل: هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك) (٤) ، والإفك : حديث اختلقه المنافقون ، وراج عند المنافقين ونفر من المسلمين .
- عصبة : جماعة ، وأصل العصبة : الفرقة المتعصبة قلت أو كثرت ، وكثر إطلاقها على العشرة فما فوقها إلى الأربعين .
- منكم : من أهل ملّتكم ، وممن ينتمون إلى الإسلام سواء كان كذلك في نفس الأمر أم لا . فيشمل عبد الله بن أبي لأنّه ممن ينتمي إلى الإسلام ظاهراً وإنْ كان كافراً في نفس الأمر لنفاقه (٥) .
- بل هو خير لكم : (بل هو خير عظيم لكم لنيلكم بالصبر عليه الثواب العظيم ، وظهور كرامتكم على الله عز وجل بتنزيل ما فيه تعظيم شأنكم ، وتشديد الوعيد فيمن تكلّم بما أحزنكم .
- لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم : أي جزاء ما اكتسب ، وذلك بقدر ما خاض فيه) (٦) .
- والذي تولى كبره منهم : (أي قام بعظمه وإشاعته بعد ابتداءه بالخوض فيه ، وهو رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ لإمعانه في عداوة رسول الله ﷺ ، وانتهازه الفرص ، وطلبه سبيلاً إلى الغميزة) (٧) .
- له عذاب عظيم : وعذابه في الآخرة بعد جعله في الدرك الأسفل من النار لا يقدر قدره إلاّ الله عز وجل ، وأما في الدنيا : فوسمه بميسم الذل وإظهار نفاقه على رؤوس الأشهاد .

٢- **﴿ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً ﴾** :
- لولا : بمعنى هلا ، ومعنى الآية : أي كان الواجب على المؤمنين والمؤمنات أنْ يظنوا أول ما سمعوا ذلك الإفك ممن اخترعه بالذات أو بالواسطة من غير تلعثم ولا تردد بأهل ملّتهم من آحاد المؤمنين خيراً (٨) .
- وقالوا هذا إفك مبين : أي ظاهر مكشوف كونه إفكاً ، فكيف بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
- وفي هذه الآية : تلوين للخطاب ، وصرف له عن رسول الله ﷺ وذويه إلى الخائضين بطريق الالتفات ، لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ، ثم العدول عنه إلى الغيبة في قوله تعالى : **﴿ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً ﴾** لتأكيد التوبيخ والتشنيع (٩) .

٣- **﴿ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾** : أي هلاّ جاء الخائضون بأربعة شهداء يشهدون على ثبوت ما قالوا .

٤- **﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾** .
- في الدنيا : أي بفنون النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة .
- والآخرة : بضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة .
- لمسّكم فيما أفضتم فيه : أي بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك (١٠)

٥- **﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾** : أي لمسّكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم ما خضتم فيه من الإفك ، وأخذ بعضكم إيّاه من بعض ، والسؤال عنه .
- والتلقي ، والتلقف ، والتلقّن متقاربة المعاني إلاّ أنَّ في التلقي : معنى الاستقبال.
- وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم : أي تقولون قولاً مختصاً بالأفواه من

غير أنْ يكون له مصداق ومنشأ في القلوب ، وقيل : يجوز أنْ يكون قوله تعالى : ﴿ **وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ** ﴾ توبيخاً كقولك : أتقول ذلك بملأ فيك !
- وتحسبوه هيناً : أي سهلاً لا تبعة فيه .
٦- ﴿ **وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ** ﴾
بهتان : أي كذب يبهت ويحيّر سامعه لفظاعته ، عظيم : لا يقدر قدره لعظمة المبهوت عليه ... والظاهر أنَّ التوبيخ المذكور في هذه الآية هو للسامعين الخاضعين لا للسامعين مطلقاً ([١٢]) ، وهذه الآية : سيقت للتوبيخ على تناقلهم الخبر الكاذب وكان الشأن أنْ يقول القائل في نفسه : ما يكون لنا أنْ نتكلم بهذا ، ويقول ذلك لمن يجالسه ، ويسمع منه ([١٣]) .
٧- ﴿ **يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ ، يعظكم : ينصحكم
٨- ﴿ **وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ : يبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ، ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتأدبوا بها
٩- ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ :
- يحبون : أي يريدون ويقصدون .
- أنْ تشيع الفاحشة : أي تنتشر الخصلة المفرطة في القبح ، وهي الفرية والرمي بالزنا ، أو الزنا نفسه .
- فالمراد بشيوعها: شيوع خبرها أي يحبون شيوعها ([١٤]) .
هذا على تفسير أنْ يراد بالمحبة نفسها من غير أنْ يقارنها التصدي للإشاعة .
قال أبو السعود : وهو الأنسب بسياق النظم الكريم ، فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيهاً على أن عذاب من يباشر الإشاعة ويتولاها أشد وأعظم ([١٥])
١٠- ﴿ **وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ ، (في هذه الآية تكرير للمنّة بترك المعاجلة بالعقاب ، للدلالة على عظم الجريمة ، وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرّة وهو : (لمسّكم) ([١٦]) .
إنَّ الحدث لعظيم ، وإنَّ الخطأ لجسيم ، ولكن فضل الله ورحمته ، ورأفته ورعايته ذلك ما وقاهم السوء ، ومن ثم يذكرهم به المرة بعد المرة ، وهو يربيهم بهذه التجربة الضخمة التي شملت حياة المسلمين ([١٧]) .
١١- ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ .
- لا تتبعوا خطوات الشيطان : أي لا تسلكوا مسالكه في كل ما تأتون ، وما تذرون من الأفاعيل التي من جملتها إشاعة الفاحشة وحبّها .
- والفحشاء : ما أفرط قبحه كالفاحشة .
- والمنكر : ما ينكره الشرع ([١٨]) .
صوّر لهم عملهم بأنّه إتّباع لخطوات الشيطان وما كان لهم أنْ يتبعوا خطوات عدوهم وعدو أبيهم من قديم ، وإنَّها لصورة مستنكرة أنْ يخطو الشيطان فيتبع المؤمنون خطاه ، وهم أجدر الناس أنْ ينفروا منه ، وأنْ يسلكوا طريقاً غير طريقه المشؤوم ، وما حديث الإفك إلاَّ نموذج من هذا المنكر الذي القانون الدولي إليه المؤمنين الذين خاضوا فيه ، وهو نموذج منفّر شنيع ([١٩]) .
- ما زكى : أي ما طهر ([٢٠]) .
١٢- ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى** ﴾ .
- ولا يأتل : أي لا يحلف . أولو الفضل منكم : في الدين . وكفى بهذا اللفظ دليلاً على فضل الصديق ﷺ .
نزلت هذا الآية في أبي بكر ﷺ بعد نزول القرآن ببراءة الصديقة ، وقد عرف أنَّ مسطح بن أثاثة كان ممن خاض فيه ، وهو قريبه ، ومن فقراء المهاجرين ، وكان أبو بكر ينفق عليه فآلى على نفسه أنْ لا يُنفق عليه حتى بعد توبته .
فلما قرأ الرسول ﷺ هذه الآية قال أبو بكر : بلى أحبّ أنْ يغفر الله لي . ورجع إلى مسطح وأهله ما كان ينفق عليهم .
١٣- ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ .
١٤- ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ .
- المحصنات : (أي العفائف مما رُمين به ، الغافلات : عن الفاحشة بحث لم يخطر ببالهن شيء منها ، ولا من مقدماتها أصلاً) .
- المؤمنات : أي المتصفات بالإيمان بكل ما يجب أنْ يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها إيماناً حقيقياً تفصيلياً ([٢١]) .
(إنَّ الغفران الذي ذكّر الله به المؤمنين في الآية السابقة إنَّما هو لمن تاب ، فأما الذين يرمون المحصنات عن خبث وإصرار ، كأمثال ابن أبيّ فلا سماحة ولا عفو ، ولو أفلتوا من الحد في الدنيا ، لأنَّ الشهود لم يشهدوا فإنّ عذاب الله ينتظرهم في الآخرة. ويومذاك لن يحتاج الأمر إلى شهود إذ تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ..) ([٢٢]) .
قال الآلوسي رحمه الله : إنّ الحكم عام – أي في هذه الآية – فيمن يرمي الموصوفات بالصفات المذكورة من نساء الأمة ، ورميهنّ إنْ كان مع استحلال فهو كفر ، فيستحق الوعيد المذكور إنْ لم يتب على ما علم من القواعد ، وإنْ كان بدون استحلال فهو كبيرة وليس بكفر ([٢٣]) . أما بالنسبة لأمهات المؤمنين فالذي ينبغي أنْ يعول عليه بكفر مَنْ رمى إحداهنّ بعد نزول الآيات ، وتبيّن أنهنّ طيبات .. ([٢٤]) .
(وتخصيص هذه الأعضاء بالذكر عملاً في رمي المحصنات ، فهم ينطقون بالقذف ، ويشيرون بالأيدي إلى المقذوفات ، ويسعون بأرجلهم إلى مجالس الناس لإبلاغ القذف) ([٢٥]) .

١٥- ﴿ **يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ** ﴾ .
أي يوم إذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزائهم الثابت الذي يحق أنْ يثبت لهم لا محالة وافياً كاملاً .
- ويعلمون : عند معاينتهم الأهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن .
- أنَّ الله هو الحق : الثابت الذي يحق أنْ يثبت لا محالة في ذاته صفاته ، وأفعاله التي من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤون التي يشاهدونها منطبقة عليها .
- المبين : المظهر للأشياء كما هي في أنفسها .
١٦- ﴿ **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ** ﴾ .
قال أبو السعود : وحيث كان رسول الله ﷺ أطيب الأطيبين ، وخِيَرَةُ الأولين والآخرين تبيّن كون الصديقة رضي الله عنها من أطيب الطيبات بالضرورة ، واتضح بطلان ما قيل في حقها من خرافات حسبما نطق به قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ مُبَرَّأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ** ﴾ (٢٦) .

المطلب الثالث
إجمال ما ورد فيها من النص النبوي الشريف

حاك المنافقون في هذه الغزوة حادثة الإفك ، فقد ألمّت بالبيت النبوي هذه النازلة الشديدة والمحنة العظيمة التي كان القصد منها النيل من النبي ﷺ ومن أهل بيته الأطهار .
قالت عائشة – رضي الله عنها - : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أنْ يخرج أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه ، قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزوة غزاها ، فخرج سهمي ، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب فأنا أُحمل في هَوْدَجي وأُنزلُ فيه .
فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله من غزوته تلك ، وقفل ودنونا من المدينة قافلين ، آذن ليلةً بالرحيل ، فقمت حين آذنوا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي ، فإذا عِقْدٌ من جَزْعِ ظَفَار (٢٧) قد انقطع ، فالتمست عقدي ، وحبسني ابتغاؤه ، وأقبل الرهط (٢٨) الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت ، وهم يحسبون أني فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهنّ اللحم ، إنما نأكل العُلقة (٢٩) من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهَوْدَج حين رفعوه ، وكنت جارية حديثة السنّ فبعثوا الجمل ، وساروا ، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ، ولا مجيب ، فأممت منزلي الذي كنت فيه ، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السُّلمي (٣٠) ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلج (٣١) فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأتاني فعرفني حين رآني ، وكان رآني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه (٣٢) حين عرفني ، فخمّرت وجهي بجلبابي ، ووالله ما كلّمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة ، حتى أتينا بعدما نزلوا موغرين (٣٣) في نحو الظهيرة ، فهلك من هلك ، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أُبي ابن سُلول .

١- انتشار الدعاية بالمدينة :
فقدمنا المدينة ، فاشتكيت حين قدمت شهراً ، والناس يُفيضون في قول أصحاب الإفك ، لا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل عليَّ رسول الله ﷺ فيسلم ، ثم يقول : (كيف تيكم؟) (٣٤) ثم ينصرف ، وذاك الذي يريبني ، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت فخرجت معي أم مسطح قِبَلَ المناصع (٣٥) وهو مُتَبَرَّزُنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف (٣٦) قريبا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قِبَلَ الغائط ، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مِسْطَح وهي ابنة أَبي رُهْم بن عبد مَنَاف ، وأمها بنت صَخْر بن عَامر خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مِسطَح بنُ أُثَاثَة (٣٧) فأقبلت أنا وأم مسطح قِبَلَ بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مِرْطِها (٣٨) فقالت : تعس مسطح ، فقلت لها : بئس ما قلت ، أتسبين رجلاً شهد بدراً ؟ قالت : أي - هَنْتَاه (٣٩) أولم تسمعي ما قال ؟ قالت : قلت : وما قال ؟ فأخرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضاً على مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي ، دخل عليّ رسول الله ﷺ - تعني سلّم – ثم قال : (كيف تيكم ؟) فقلت : أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ قالت : وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قِبَلهما . قالت فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبويّ فقلت لأمي : يا أُمتاه ماذا يتحدث الناس ؟ قالت : يا بنية هوني عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة (٤٠) عند رجل يحبها ، ولها ضرائر إلا أكثرن عليها (٤١) . قالت : فقلت : سبحان الله ، أو لقد تحدث الناس بهذا ؟ .
فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع (٤٢) ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكي .

٢- استشارة رسول الله ﷺ بعض أصحابه عند تأخر نزول الوحي :
فدعا رسول الله ﷺ علي ابن أبي طالب وأسامة بن زيد ﷺ حين استلبث الوحي ، يستأمرهما في فراق أهله ، قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود ، فقال : يا رسول الله أهلك ، ولا نعلم إلا خيراً ، وأما علي بن أبي طالب فقال : يا رسول الله ، لم

يُضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإنْ تسأل الجارية تصدقُك .
قالت : فدعا رسول الله ﷺ بَرِيرة فقال : (أي بَرِيرَة ، هل رأيت شيء يُريبك ؟) قالت بريرة : لا ، والذي بعثك بالحق
إنْ رأيت عليها أمراً أغمصُه (٤٣) عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها ، فتأتي الداجن (٤٤) فتأكله ، فقام رسول الله ﷺ فاستعذر (٤٥) يومئذ من عبد الله بن أُبي ابن سلول قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر : (يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً (٤٦) ما علمت عليه إلا خيراً ، وما يدخل على أهلي إلا معي) فقام سعد بن مُعاذ الأنصاري فقال : يا رسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك .

٣- آثار فتنة الإفك :

قالت : فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج - وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية (٤٧) فقال لسعد : كذبت لعمرُ الله لا تقتله ، ولا تقدر على قتله ، فقام أسيدُ بن حُضَيْر وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة : كذبت لَعَمرُ الله لنقتلنّه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، فتثاور الحيّان ، الأوس والخزرج ، حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، قالت فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت .
قالت : فبكيت يومي ذلك ، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، قالت : فأصبح أبوي عندي قد بكيت ليلتين ويوماً ، ولا يرقأ لي دمع يظنان أنَّ البكاء فالق كبدي ، قالت : فبينما هما جالسان عندي ، وأنا أبكي فاستأذنتُ عليّ امرأةٌ من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكي معي ، قالت : فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ فسلّم ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها .

٤- مفاتحة الرسول ﷺ لعائشة وجوابها له :

وقد لبث شهراً (٤٨) لا يوحى إليه في شأني ، قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ، ثم قال :
(أما بعد ، يا عائشة ، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا (٤٩) فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله ، وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه) قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص (٥٠) دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي : أجب رسول الله ﷺ فيما قال ، قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت لأمي : أجيبي رسول الله ﷺ ، قالت : ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ .
قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن : إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم ، وصدقتم به ، فلئن قلت لكم : إني بريئة ، والله يعلم أني بريئة ، لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أني منه بريئة ، لتصدقني ، والله ما أجد لكم مثلا إلاّ قول أبي يوسف (٥١) قال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (٥٢) . قالت : ثم تحوّلتُ فاضطجعت على فراشي ، قالت : وأنا حينئذٍ أعلم أني بريئة ، وأن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها .

٥- نزول الوحي ببراءة عائشة :

قالت : فوالله ما رام (٥٣) رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البُرحَاء (٥٤) حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجُمَانِ (٥٥) من العرق ، وهو في يوم شات ثقل القوم الذي يَنْزل عليه .
قالت : فلما سُرِّي (٥٦) عن رسول الله ﷺ سُرِّي عنه ، وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها : (يا عائشة أما الله ﷻ فقد برأك) فقالت أمي : قومي إليه ، قالت : فقلت لا والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله ﷻ .
فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ .....﴾ (٥٧) .

٦- موقف أبي بكر الصديق ممن تكلم في عائشة رضي الله عنها :

فلما أنزل الله هذا في براءتي ، قال أبو بكر الصديق ﷺ وكان ينفق على مِسطح بن أُثاثة لقرابته منه وفقره : والله لا أنفق على مسطح شيئا أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال ، فأنزل الله : ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥٨) .
قال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .
قالت عائشة : وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري ، فقال : (يا زينب ماذا علمت؟ أو رأيت؟) . فقالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ، ما علمت إلا خيراً ، قالت : وهي التي كانت تساميني (٥٩) من أزواج رسول الله ﷺ فعصمها الله (٦٠) بالورع (٦١) وطفِقت (٦٢) أختها حَمْنَة (٦٣) تحارب لها ، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك (٦٤) .

المطلب الرابع
تحديد زمكانية وقوعها

وقعت حادثة الإفك في أعقاب غزوة بني المصطلق ، وهذا ما أجمع عليه أهل المغازي والسير ، كما ورد عن السيدة عائشة - رضي الله عنها – في رواية أبي أويس بن هشام بن عروة عن أبيه عنها - رضي الله عنها – (٦٥) .

أما عن السنة التي وقعت فيها ، فالناظر في تاريخ هذه الغزوة يجد أنَّ للعلماء في سنة حدوثها أقوالاً ، سأقتصر على ذكر قولين منها :
الأول : أنَّها وقعت في بداية شهر شعبان من سنة خمس من الهجرة قبل غزوة الأحزاب ، ومن قال بذلك : الواقدي وتابعه ابن
سعد وابن حبان والذهبي وابن القيم وعدد من الباحثين المعاصرين (٦٦) .
الثاني : أنَّها وقعت في بداية شهر شعبان من سنة ست من الهجرة بعد غزوة الأحزاب ، وممن قال بذلك : الطبري وابن الأثير

وابن كثير وعدد من الباحثين المعاصرين (٦٧) .
وقد رجّح أهل التاريخ والسير القول الثاني لما عُلم أنَّ النبي ﷺ قد سأل زينب عنها وكان زواجه بعد غزوة الأحزاب ، ولا خلاف أيضاً أنَّ آية الحجاب نزلت حين دخوله بزينب ، فثبت أنَّ الحجاب كان قبل قصة الإفك والله أعلم (٦٨) .

المبحث الثاني
أبرز معالم دروس الإستفادة من الحادثة

المطلب الأول
بيان مكانة ومنزلة بيت النبّوة

إنَّ بيت النبوة بلا نقاش هو خير البيوت على الإطلاق ، وإنَّ أسرته الكريمة خير الأسر ، ولهذا جاء الوصف القرآني فيهم مما يكفي أهل هذا البيت الكريم شرفاً وفضلاً أنَّ الله جلّ في علاه هو الذي تولى الدفاع عنهم واقتضت إرادته أنْ يُذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً .
قال عزّ شأنه وجلّ : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ (٦٩) .
ويكفيهم شرفاً وفضلاً أنَّ النبي ﷺ عندما علمنا كيفية الصلاة عليه ، أمرنا بالصلاة عليهم .
وقد تواتر النقل عن أئمة السلف وأهل العلم جيلاً بعد جيل على اختلاف زمانهم وبلدانهم بوجوب محبة أهل بيت رسول الله ﷺ وإكرامهم ، وتوقيرهم والعناية بهم وحفظ وصية النبي ﷺ فيهم .
قال القاضي عياض – رحمه الله - : ومن توقيره ﷺ وبرّه برُّ آله وذريته ، وأمهات المؤمنين أزواجه ، كما حضّ عليه ﷺ ، وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ** ﴾ (٧٠) ، وقال تعالى : ﴿ **وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** (٧١) ﴾ (٧٢) .
وقال الحافظ ابن كثير عن نص الآية : نص الله تعالى في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا ؛ لأنَّهنّ سبب نزول الآية ، وسبب نزول الآية داخل فيه قولاً واحداً ، إما وحده على قول ، أو مع غيره على الصحيح .
وكان عكرمة مولى ابن عباس ينادي في السوق بأنّ هذه الآية نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة .
فإنْ كان المراد أنَّهنّ كنّ سبب النزول دون غيرهنّ فصحيح ، وإنْ أريد أنَّهنّ المراد فقط دون غيرهنّ ففي هذا نظر ، فإنّه قد وردت أحاديث تدلّ على أنَّ المراد أعمّ من ذلك (٧٣) .
وقال الآلوسي : والذي يظهر لي أنَّ المراد بأهل البيت من لهم مزيد علاقة به ﷺ ، ونسبة قوية قريبة ﷺ بحيث لا يقبح عرفاً اجتماعهم وسكناهم معه ﷺ في بيت واحد ، ويدخل في ذلك أزواجه والأربعة أهل الكساء ، وعلي كرم الله وجهه مع ما له من القرابة من رسول الله ﷺ قد نشأ في بيته وحجره ﷺ ، فلم يفارقه ، وعامله كولده صغيراً ، وصاهره وآخاه كبيراً (٧٤) .
وفي ضوء عرض هذا المشهد والفقرة التي نحن بصددها يتبيّن لنا مكانة بيت النبوة ومنزلتهم عالية الشأن والرفعة .
فلقد شهدت هذه الحادثة مكانة البيت النبوي الكريم بإبراز فضائله وإظهار شرفه وعظمة شأنه ، ووجوب حرمته
والمبالغة في نفي التهمة عن حجابه وما ذَا إلاَّ تنبيه على عناية الله برسوله ﷺ وانتصاره له ، وتفخيم شأنه ، وإظهار علو منزلته
عنده ، وأنَّه سيد ولد آدم ، وخير الأولين والآخرين .
قال الزمخشري : (فلو فليت القرآن كلّه ، وفتشت عما أوعد به العصاة ، لم ترى أنَّ الله تعالى قد غلّظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضي الله عنها ، ولا انزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد ، والعتاب البليغ ، والزجر العنيف ، واستعظام ما ركب من ذلك ، واستفظاع ما أقدم عليه على طرق مختلفة ، وأساليب متفننة ، كل واحد منها كاف في بابه .
ثم يتابع النص ويقول : (وما ذاك إلاَّ لإظهار علوّ منزلة رسول الله ﷺ ، والتنبيه على إنافة محل سيّد ولد آدم ، وخير الأولين والآخرين ، وحجة الله على العالمين ، ومن أراد أنْ يحقق عظمة شأنه ﷺ ، وتقدم قدمه ، وإحرازه قصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الإفك ، وليتأمل كيف غضب الله في حرمته ، وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه) (٧٥) .
قال أبو السعود : (ولو تتبعنا ما في القرآن المجيد من آيات الوعيد الواردة في حقّ كلّ كفار مريد ، وجبار عنيد لا تجد شيئاً منها فوق هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد ، وما ذاك إلاَّ لإظهار منزلة النبي ﷺ في علوّ الشأن والنباهة ، وإبراز رتبة الصديقية رضي الله عنها في العفة والنزاهة) (٧٦) .

المطلب الثاني
بيان مكانة فضل الصديق ﷺ وأسرته وعلوّ شأنهم وشأوهم

إنَّ مما يشهد للصديق ﷺ أنَّه لم ينقل عنه في هذه القصة لرسوخ عقله وبعد نظره مع تمادي الحال في الحادثة ما يقارب شهراً (٧٧) .
والصديق لم يكن ليكذّب الخبر في أول وهلة من سماعه وأهله ، بل إنَّهم قد اهتموا به اهتماماً كبيراً كما هو مروي في كتب الحديث والسير .
ولعل الجواب أنَّه لم يكن ليشكّ بابنته ، فهو العالم بأحوالها وعفافها ولكنه أمسك حتى لا يقال عنها ما يقال وتوجه عليه الأقاويل والاتهامات ، وسيقال عنه : ماذا يرجى من الوالدين إلا الدفاع عن ابنتهما ؟
وهذا ما كان يلدغ قلب الصديق ﷺ وزوجه أم رومان ويمنعهم جميعاً من
تكذيب الخبر وإلاّ فما كان يساورهم أدنى شكّ في عفاف السيدة وما رميت به (٧٨) .
نجد أنَّ الصديق ﷺ لم يخبر السيدة عائشة وهي القائلة : إني اشتكيت شكوى شديدة ولا يبلغني من ذلك شيء وقد انتهى ذلك إلى أبويّ ، وأبواي لا يذكران لي من ذلك شيء ، ولكن في نفس الوقت نجد أنَّ الصديق قد تأثر تأثراً شديداً مما كان يؤدي به إلى أخذه بالبكاء الشديد على ما حصل لابنته من افتراء (٧٩) .
لكننا نرى أنَّ الصديق ﷺ قد أذعن بالتسليم المطلق لرسول الله ﷺ لإيمانه العميق بالوحي ، فعندما دخل النبي ﷺ على عائشة رضي الله عنها وقال لها : (يا عائشة فإنّه بلغني عنك كذا وكذا فإنْ كنت بريئة فسيبرئك الله عز وجلّ ، وإنْ كنت ألممت بذنب فاستغفري) قالت السيدة عائشة لأبيها : أجب عني رسول الله فيما قال ، فقال : ما أدري والله ما أقول لرسول الله ، وفي رواية قال : لا افعل هو رسول الله والوحي يأتيه (٨٠) .
ولقد كان ﷺ كما قلنا مقتنعاً ببراءة ابنته ، يدلّ على ذلك تعبيره عن حزنه البالغ لما حدث لابنته من اتهام ، ودفاعه عنها بقوله : فما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على بيت آل أبي بكر ، والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا نعبد الله و ندع له شيئاً ، فيقال لنا في الإسلام ؟ ومع ذلك فقد كان مسلّماً لرسول الله ﷺ لا يجيبه بشيء (٨١) .
قال الحافظ ابن حجر : وإنَّما أجابها أبو بكر بقوله : لا أدري ، لأنه كان كثير الإتباع لرسول الله ﷺ ، ولأنه وإنْ كان يتحقق براءتها لكنه كره أنْ يزكّي ولده (٨٢) .

ولننتقل إلى موقف أمها أم رومان ، فقد كان موقفها موقف الصحابيّة الجليلة لا المتعجل ولا المتسرع ، بل يحمل في طياته موقف الأم التي عرفت منزلة الصديقة وبراءتها وطهارتها فقالت لها بلهجة ملئُها الاطمئنان والثقة : أي بنيّه ، هوّني عليك ، فوالله لقلّما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبّها ولها ضرائر إلاّ كثّرن عليها ....

قال ابن حجر معلقاً : وفي هذا الكلام فطنة أمها ، وحسن تأنيها في تربيتها ما لا يزيد عليه ، فإنَّها علمت أنَّ ذلك يعظُمُ عليها ، فهونت عليها الأمر بإعلامها بأنَّها لم تنفرد بذلك ، لأنّ المرء يتأسى بغيره فيما يقع له ، وأدمجت في ذلك مت تطيّب به خاطرها من أنَّها فائقة في الجمال والحظوة ، وذلك مما يعجب المرأة أنْ توصف به (٨٣) .
وفي موقف الوالدين الكريمين مما حدث لابنتهما درس تربوي بالغ الأهمية في كيفية التعامل مع قالة السوء ، وإشاعة الزور والبهتان ، فقد كان موقفاً يتّسم بالحكمة ، ولم يتسرعا في إصدار أي حكم قبل ظهور الحجة ، واستكمال التحقيق وهما في ذلك يقتديان برسول الله ﷺ في تعامله مع هذه الحادثة وطريقته في معالجتها .
وقد يقال : لماذا لم يقولوا : سبحانك هذا بهتان عظيم كما فعل أبو أيوب الأنصاري عندما سمع هذا المقال ؟
ولعل الجواب أنَّهم لم يقولوا ذلك لكون الأمر متعلق بهم ، فلابدّ من التحقيق العلني لردّ التهمة التي أثارها المنافقون في المدينة ، نجد ذلك واضحاً في تعاملهم مع هذا الحدث الجلل ، وصبرهم الجميل رغم تجرعهم مرارته وتحملهم لهيب نيرانه .
ولابد لكل بداية نهاية وعندما تتميز الأشياء ، فمما لا يخفى أنَّ الذين اشتركوا بالحادثة قسم منهم من أهل الإيمان ولهم القربى بالصديق بل إنَّه كان من المتصدقين والمحسنين عليهم .
وهنا نطّلع على أفق عالٍ من آفاق النفوس الزكية التي تطهرت بنور الله ، أفق يشرق في نفس الصديق الذي مسّه الإفك
في أعماق قلبه ، والذي احتمل مرارة الاتهام لبيته وعرضه ، فما كاد يسمع دعوة ربه إلى العفو ، وما كاد يلمس وجدانه ذلك
السؤال الموحي : ﴿ **أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ حتى يترفع على الآلام ، ويرتفع على مشاعر الإنسان .
ويرتفع على منطق البيئة ، وحتى تشفّ روحه وترفّ وتشرق بنور الله ، فإذا هو يلبي داعي الله في طمأنينة وصدق يقول : بلى والله إني لأحبّ أنْ يغفر الله لي ، ويعيد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ويحلف والله لا أنزعها منه أبداً ذلك مقابل ما حلف بقوله والله لا أنفعه بنافعة أبداً .
وبذلك يمسح الله على آلام ذلك القلب الكبير ويغسله من أوضار المعركة ليبقى أبداً نظيفاً طاهراً زاكياً مشرقاً بالنور (٨٤) .
قال الرازي : إنَّ مما أجمع عليه المفسرون أنَّ المراد من قوله تعالى : ﴿ **أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ** ﴾ هو الصديق ﷺ ، وهي شهادة عظيمة من الله سبحانه بفضله ، كذلك تدلّ على أنَّه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ، لأنّه تعالى ذكره في معرض المدح له ، والمدح من الله بالدنيا غير جائز ، فتعيّن أنْ يكون المراد منه الفضل في الدين .
ولأنه لو أريد به الفضل في الدنيا وجب أنْ يكون أفضل الصحابة بعد رسول الله ﷺ .

ثم تابع الكلام بقوله : فانظر إلى الشخص الذي كنّاه سبحانه مع جلاله بصيغة الجمع كيف يكون علوّ شأنه ، ولذلك حينما سمعها قال قولته المشهورة في العفو والصفح عنهم (٨٥) .
وأما عائشة فقد كانت دوماً تبدي عطفها على حسان بن ثابت و لا تقابله إلاّ بالإحسان والتواضع وتلقي له الوسادة عندما يدخل عليها مع أنَّه ممن أذاعوا الحادثة .
ولما أن ذكّرها بعض الناس مرة بما فعل قالت : إنَّه يدافع عن رسول الله ﷺ ، وقالت مرة أخرى : (ما سمعت بشعر أحسن من شعر حسان ولا تمثلت به إلاّ رجوت له الجنة) ، وهذه منزلة رفيعة ودرجة سامية اتسمت وتسامت بطهارة القلب والإخلاص ودماثة الأخلاق ، فهم خيار من خيار من خيار (٨٦) .
وما أجمل كلام حسان الذي ينبأ عن اعتذاره واعترافه بما اقترف من الذنب العظيم واصفاً الأم الطاهرة الصابرة النقيّة بقوله :

رأيتك وليغفر لك الله حرّة
من المحصنات غير ذات غوائل
حصان رزانٌ ما تزفّ بريبة
وتصبح غرقى من لحوم النوافل
وإنَّ الذي قد قيل ليس بلائق
بك الدهر بل قيل امرئ متناحل
فإنْ كنت أهجوكم كما بلّغوكم
فلا رفعت سوطي إليّ أناملي
فكيف وودّي ما حييت
ونصرتي لآل رسول الله زين المحافل
وإنَّ لهم عزاً يرى الناس
دونه قصاراً ، وطَال العز كل التطاول (٨٧)
.

المطلب الثالث
الحكمة الإلهية
في إبراز الجانب الإنساني المجرد فيه ﷺ

إنَّ المسلمين جميعاً يعلمون أنَّ من صفات النبي أنَّه بشر لكن له الصلة العظمى بالسماء عن طريق الوحي وهذا هو شرف النبوة وميزتها : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** ﴾ (٨٨) .
فالنبي ﷺ لا يعلم الغيب ولا يعلم إلاّ ما يخبره به الله ، وإنَّ علمه لا يفوق بعد ذلك علم عامة البشر ، فقد ظل إلى شهر كامل يعاني الألم وفجيعة القلب ، فتراه ﷺ يسأل الخادم تارة وعلياً تارة ، وأسامة ثالثاً وأزواجه رابعاً ، وأخيراً يذهب إلى عائشة نفسها ولا يقول لها إلاَّ (إنْ كنت بريئة فسيبرئُك الله ، وإنْ كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه) ، ولو أنَّه كان يعلم الغيب لما كان يعاني كل المعاناة هذه من الألم والقلق والأرق الشديد المديد ولم يحتج بالسؤال لعائشة ولغيرها وتلقينها بالتوبة .

لكننا نرى أنَّه كما نزل الوحي وأحاط بحقيقة الواقع ، علم ما لم يكن يعلم هو ولا غيره ، فكان مراد الله أنْ ينقذ المسلمين بالتجربة والمشاهدة المباشرة من الغلو في شخص مقتداهم ومرشدهم ، وليس من البعيد أنْ يكون هذا من المصالح التي لأجلها حُبس الوحي ، ولو أنزل لما رجع المسلمون بهذه الفائدة العظيمة (٨٩) .
إنَّ في تأخر نزول الوحي حكم بالغة لعل من أهمها أنَّ الله سبحانه أراد أنْ يعلم الأمة من خلال هذه الحادثة كيف يتعاملون مع مثل هذه الحوادث الحساسة ، حفاظاً على الأسرة المسلمة من التصدّع والانهيار ، ومن ثم حفاظاً على المجتمع الإسلامي من أنْ تفتك به مثل هذه الإشاعات المغرضة لاسيما إذا تعلقت بالإعراض .
قال ابن القيم رحمه الله : (واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أنْ حُبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهراً في شأنها وما ذاك إلاّ لأنَّ الله أحبّ أنْ يُظهر منزلة رسوله ﷺ وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه ، وأنْ يُخرج رسوله ﷺ عن هذه القضية ، ويتولى بنفسه الدفاع والمنافحة عنه ﷺ ، والرد على أعدائه وذمّهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا يُنسب إليه ، بل يكون وحده المتولي لذلك التأثر لرسوله وأهل بيته) (٩٠) .
لقد أبرز الموقف حقيقتين اثنتين لتتجلّى للناس منه غاية في بالغ الأهمية :
الحقيقة الأولى : أنَّ النبي ﷺ لم يخرج بنبوته ورسالته عن كونه بشراً من الناس ، فلا ينبغي لمن آمن به أنْ يتصور أنَّ النبوة قد تجاوزت به حدود البشرية فينسب إليه من الأمور أو التأثير في الأشياء ما لا يجوز نسبته إلاَّ لله وحده .
الحقيقة الثانية : إنَّ الوحي ليس شعوراً نفسياً ينبثق من كيان النبي ﷺ ، كما أنَّه ليس شيئاً خاضعاً لإرادته أو تطلعه وأمنياته ، إذ لو كان كذلك لكان من السهل عليه أنْ ينهي هذه المشكلة من يوم ميلادها ويريح نفسه من ذيولها ونتائجها .
ويجعل مما يعتقد من الخير والاستقامة في أهله قرآناً يطمئنّ به أصحابه المؤمنين ويُسكتُ الآخرين من أصحاب الفضول
ولكنه لم يفصل ؛ لأنَّه لا يملك ذلك (٩١) .
وما أجمل كلام دراز في الموقف هذا إذ يقول :
ألم يرجف المنافقون بحديث الإفك عن زوجه عائشة رضي الله عنها فأبطأ الوحي وطال الأمر والناس يخوضون حتى بلغت القلوب الحناجر وهو لا يستطيع إلاَّ أنْ يقول بكل تحفظ واحتراس : (إني لا أعلم عنها إلاَّ خيراً) ثم إنَّه بعد بذل جهده في التحري والسؤال واستشارة الأصحاب ومضي شهر بأكمله والكل يقولون : ما علمنا عليها من سوء .
وهذا كلام بوحي ضميره ، وهو كما ترى كلام بشر الذي لا يعلم الغيب وكلام الصديق المثبت الذي لا يتبع الظن ،
ولا يقول ما ليس له به علم ، على أنَّه لم يغادر مكانه بعد أنْ قال هذه الكلمات حتى نزل صدر سورة النور معلناً براءتها
ومصدّراً الحكم المبرم بشرفها وطهارتها .
فماذا كان يمنعه لو أنّه أمر القرآن إليه أنْ يتقول هذه الكلمات الحاسمة من قبل ليحمي بها عرضه ويذبّ بها

عن عرينه وينسبها إلى الوحي السماوي لتنقطع ألسنة المتخرصين ، لكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٩٢) ﴾ (٩٣) .

ولقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها أول من تجلّت لها هاتان الحقيقتان ، حتى ذهبت في توحيدها وعبوديتها لله وحده مذهباً أنساها ما سواه ، فلذلك أجابت أمها حينما طلبت إليها أنْ تقوم فتشكر النبي ﷺ قائلة : إلى أقوم إليه ولا أحمدُ إلاّ الله ؛ فهو الذي أنزل براءتي .

والكلام هذا من السيدة عائشة قد يبدو وكأنّ فيه شيئاً من عدم اللياقة تجاه النبي ﷺ ، غير أنَّ الظرف والحالة هما اللذان أمليا عليها هذا الكلام ، فهي إنَّما انساقت بوحي الحالة التي كونتها الحكمة الإلهية تثبيتاً لعقيدة المؤمنين وقطعاً لإفك المنافقين والملحدين وإظهاراً لمعنى التوحيد والعبودية الشاملة لله وحده جلّ ربي في علاه (٩٤) .

المطلب الرابع
الحكمة الإلهية بابتلائه بفنون من الإيذاء والمحن وإبراز شخصيته فيها عليه السلام

لقد كانت هذه الأذية أشدّ في وقعها على نفسه ﷺ من أي محنة سابقة تعرّض إليها ، وتلك هي طبيعة الشر الذي يصدر عن المنافقين ومن سولت لهم أنفسهم أمراً ، فالمنافق دائماً يكون أقسى من غيره وأبلغ في المكيدة والضرر ، إذ تكون الفرص والأسباب خاضعة لهم أكثر من غيرهم ، فهي صورة للأذى الذي تفرّد به أهل النفاق (٩٥) .

ولعل المتفحص يجد أنَّ داء الأمة ينبع من داخلها ، وأخطر داء فيها زعزعة الثقة بقادتها ومصلحيها ، وتوجيه النقد الهدام
لهم ومحاولة النيل من عرضهم وسمعتهم وكرامتهم (٩٦) .

وإنَّما كانت هذه الحادثة أبلغ من غيرها في الإيذاء لأنّ كلّ الحوادث كانت متوقعة وقد وطّن نفسه ﷺ لقبولها وتحملها وليس التقاؤه بها عن طريق الدعوة مفاجأة له .

أما هذه فقد فوجئ بها لأنّها ليس مما قد اعتاده أو توقعه ، فهي اليوم شيء آخر ، فهي إنْ صحّ التعبير شائعة لو صحّت لكانت طعنة نجلاء في أخصّ ما يعتزّ به إنسان وأخص ما يتصف به الشرف والكرامة .

ومن هنا كانت هذه الأذية أبلغ في تأثيرها من كل ما عداها لأنّها جاءت لتلقي بشعوره النفساني في اضطراب مثير لا مناص منه ، ومع ذلك فلو أنَّ الوحي سارع إلى كشف الحقيقة وفضح إفك الأفاكين لكان في ذلك مخلص من الاضطراب والشكوك المثيرة ، ولكن الوحي تلبّث أكثر من شهر لا يعلّق ، فكان مصدراً آخراً للقلق والشكوك (٩٧) .

لقد أبرزت هذه الحادثة شخصية النبي ﷺ وإظهارها صافية مميزة عن كل ما قد يلتبس بها لأنّ معنى النبوة في حياته كان من المحتمل أنْ يبقى مشوباً في وهم بعض المؤمنين والكافرين على السواء لو لم تأت هذه الحادثة لتهز شخصية النبي ﷺ هزاً قوياً يفصل إنسانيته العادية عن معنى النبوة الصافية فيه ، ثم لتجلّي معنى النبوة والوحي تجليةً تامة أمام الأنظار والأفكار حتى لا يبقى أي مجال التباس بينه وبين أي معنى من المعاني النفسية أو الشعورية الأخرى .

لقد فاجأت هذه الشائعة سمع النبي وهو في طور من إنسانيته العادية ، يتصرف ويتأمل ويفكر كأيّ أحدٍ من الناس ضمن حدود العصمة المعروفة للأنبياء والمرسلين ، فاستقبلها كما يستقبل مثلها أي بشر من الناس ، ليس له اطلاع على غيب مكنون ولا ضمير مجهول ولا على قصد ملفّق كاذب ، فاضطرب كما يضطربون وشك كما يشكون ، وأخذ يقلب الرأي على وجوهه ويستنجد في ذلك بمشورة أولي الرأي من الصحابة الأجلاء (٩٨) .

ويمكن أَنْ نخلص بالقول أنَّ مما يجب أَنْ تعرفه الأمة بشكل عام ، وأهل العلم والدعوة بشكل خاص ، احتمال اتهامهم واتهام أميرهم ومن ينتسب إليهم بأي اتهام باطل ، وإنْ كان ظاهر الأمر البطلان ، ودليلنا على ذلك ما سبق بالرغم من القرائن القاطعة على استحالة وقوع مثل هكذا أمر ، وإنْ كان كذلك ، فلا غرابة في اتهام أعداء الأمة بأي ادعاء باطل غير مستساغ ولا مقبول ولامعقول ، لأنهم لا يقيمون اتهاماتهم على أساس من الحق أو المنطق أو الواقع ، فقصدهم أَنْ يقولوا السوء ويمضوا ، ويأتي أنصار الشر ومحبو إشاعة الفاحشة فيكملوا ما بدؤوه ، فعلينا إذاً مواجهة هذه الحالة ، وتفقيه أنفسنا وأبناء أمتنا بهذا النهج والأسلوب حتى لا نكون ممن يقعون بفخ الأباطيل والتلفيقات ، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر (٩٩) .

المطلب الخامس
تبرئة أم المؤمنين وتأصيل سنّة كونية بجعل الطيبين والخبيثين بعضهم للآخر

إنّ من التعليمات التي وجّهها الله تبارك وتعالى إلى أفراد المجتمع الإسلامي هو أَنْ لا يمكن أَنْ يتقبّل أمر بلا رويّة ، فإنْ
كان قد رُمي الغير بما لا يرونه فيه فلا يشيعونه ، بل الواجب عليهم إذا ما وجدوا إفشائه كبتوا مثل هكذا أمر وحالوا دون
انتشاره وتجنبوا التناقل بينهم .

ولعل من التعليمات الأساسية التي ألقيت في روع المؤمنين بهذا الصدد أنَّه لا يمكن أَنْ يتصل رجل طيب إلاّ بطيبة من النساء ، ومن المحال البتّة أنْ يوافق طبعه امرأة خبيثة وكذلك العكس .

ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ** ﴾ (١٠٠) ، فترى المسلمين عندما قيل لهم

نظر بعضهم إلى بعض الآخر فتأملوا بمن كان السبب فانتبهوا !! (١٠١) .
فبعد أنْ برّأ الله السيدة عائشة رضي الله عنها مما قيل في حقها فضحهم الله بأنهم ما جاؤوا إلاّ بسيئ الظنّ ، واختلاق
القذف ، وتوَعّدهم وهدّدهم ثم تاب على الذين تابوا ، أنحى عليهم ثانية ببراءة رسول الله ﷺ من أنْ تكون له أزواج خبيثات

لأنّ عصمته وكرامته على الله ، يأبى الله أَنْ تكون أزواجه ﷺ غير طيّبات ، فمكانة النبي ﷺ كافية في الدلالة على براءة زوجه وطهارة أزواجه كلّهن (١٠٢) .

وفي هذا إشارة إلى ما يؤكد تبرئتها من شاهد العرف والعادة في أنَّه لا يضم الشكل إلاّ إلى شكله ، ولا يساق الأهل إلاّ إلى أهله (١٠٣) .
فالطيبة الكريمة لا ترضى أنْ تكون فراشاً إلاّ للطيب الكريم ، ولا يرضى ذووها إلاّ بكريم طيّب ذات خلق ودين ، والطيبون ذوو الأخلاق الذين لا يختارون إلاّ كريمة ذات خلق ودين (١٠٤) .
وهذا من عدل الله في اختياره الذي ركّبه في الفطرة وحققه في واقع الناس (١٠٥) .
قال الإمام الرازي : (بيّن الله تعالى أنَّ الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، ولا أحد أطيب ولا أطهر من الرسول ﷺ ، فأزواجه إذن لا يجوز أنَّ يكنّ إلاّ طيبات ، ثم بين تعالى أنَّ ﴿ **لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ ويحتمل أنَّ يكون ذلك خبراً مقطوعاً به ، فيعلم بذلك أنَّ أزواج الرسول ﷺ هنّ معه في الجنة ، وهذا يدل على أنَّ عائشة رضي الله عنها تصير إلى الجنة ، بخلاف مذهب الرافضة الذين يكفرونها بسبب حرب يوم الجمل فإنَّهم يردّون بذلك نص القرآن الكريم) (١٠٦) .
وزاد الآلوسي قائلاً ومما يرد زعم الرافضة ، القائلين بكفرها وموتها على ذلك وحاشاها لقصة وقعة الجمل ، قول عمار بن ياسر في خطبته حين بعثه الأمير كرّم الله وجهه مع الحسن يستنفران أهل المدينة وأهل الكوفة (والله إني لأعلم أنها زوجة نبيّكم عليه الصلاة والسلام في الدنيا والآخرة ولكن الله تعالى ابتلاكم بها ليعلم أتطيعونه أم تطيعونها ؟) .
ثم قال بعد ذلك : ومما يقضي منه العجب ما رأيته في كتب بعض الشيعة ، من أنها خرجت من أمهات المؤمنين بعد تلك الواقعة ، لأنّ النبي ﷺ قال للأمير كرم الله وجهه : ((قد أذنت لك أنْ تُخرج بعد وفاتي من الزوجية من شئت من أزواجي)) فأخرجها من ذلك كما صدر منها معه ما صدر ، ولعمري أنَّ هذا مما يكاد يضحك الثكلى ، وفي حسن معاملة الأمير إياها رضي الله تعالى عنها بعد استيلائه على العسكر ما يكذّب ذلك (١٠٧) .
وأخيراً وليس آخراً فقد أشارت الآية الكريمة إلى مبدأ هام من الحياة الاجتماعية ، وهو أنَّ النفوس الخبيثة لا تلتئم إلاّ مع النفوس الخبيثة من مثلها ، والنفوس الطيبة لا تمتزج إلاّ بالنفوس الطيبة من مثلها ، وحيث كان الرسول ﷺ أطيب الأطيبين ، وأفضل الأولين والآخرين ، تبين أنَّ الصديقة رضي الله عنها من أطيب النساء بالضرورة ، وانّ ما قيل في حقها كذب وبهتان كما نطق بذلك القرآن ﴿ **أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ** ﴾ (١٠٨) ،
ويا لها من شهادة قاطعة ! (١٠٩) .
وفي ذلك قاعدة مساقة بالسنن الإلهية الجارية بين الخلق على موجب أنَّ لله ملكاً يسوق الأهل إلى الأهل فالمجانبة من دواعي الانضمام وفي ذلك رتبة شريفة ومنزلة رفيعة لهم ، فهم الموصوفون بعلو الشأن ، المبرَّؤون مما يقال في حقهم من إشاعات واتهامات وأكاذيب بواطل (١١٠) .

المطلب السادس
الطريقة المثلى
في التعامل مع الخلافات الزوجية

إنَّ الدارس لهذه الواقعة والمطلع على سيرة النبي ﷺ وتعامله مع أهل بيته يجد أنَّه قد غيّر من أسلوبه في تعامله معها مما أشعرها بشيء غريب قد حدث ، لكنها لا تدري ما هو ، فلم يعد يجلس عندها ولم تعد ترى منه ذلك اللطف الذي كانت تراه منه لاسيما في حالة المرض ، فهي لا شك من أحبّ نساءه إليه ، وعلى الرغم فإنَّ عمرها لم يتجاوز الثالثة عشر آنذاك .
تقول رضي الله عنها : (فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا شهراً ، والناس يفيضون في قول أهل الإفك ، ولم أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أنَّي لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي أرى منه حين أشتكي ، إنَّما يدخل رسول الله ﷺ فيسلّم ثم يقول : كيف تيكم ؟ فذاك يريبني ولا أشعر بالشر) .
وقد بقيت في بيته هذه المدة ولم تدر ما حدث إلاّ في الأيام الأخيرة عندما استأذنته بالذهاب إلى بيت أبيها فأخبرتها أم مسطح بذلك ، وكان ذلك قبل يومين من براءتها ، وهي القائلة : (وقد بكيت ليلتين ويوماً لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى أنَّي لأظنّ أنَّ البكاء فالق كبدي) .
وأما اليوم الآخر فهو يوم البراءة ، يوم دخل عليها الرسول ﷺ وهي تبكي فبشرها بنزول البراءة ، وقد سبق ذكر القصة آنفاً .
والموقف هذا يدلّ على حكمته البليغة في تعامله مع هذا الحدث الجلل ، فهو ﷺ لم يعتزلها اعتزالاً كلياً ؛ لأنّ الاعتزال عقوبة على مخالفة ، ولم تثبت أية مخالفة تستحق عليها الاعتزال والهجران ، وهو ﷺ لم يعاملها بالطريقة التي كان يعاملها بها قبل شيوع الحادثة ، وقالة السوء ، ليشعرها بأنَّ شيئاً ما قد حدث ، ويحتاج إلى تحقيق فيه للكشف عن الحقيقة .
وهذا الموقف ، بحد ذاته درس تربوي يرشدنا لآلية التعامل مع الأشخاص الذين يشاع عنهم شائعات الافتراء ، ويذاع عنهم كلمات الزور والبهتان ، فلابد من الحذر الشديد وعدم التسرع في إطلاق الأحكام واتخاذ المواقف المعادية من غير حجة واضحة أو دليل صحيح .

كما وأنّ فيه إشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة ، فإذا كان سبب الهجران محققاً تُرك أصلاً وإنْ كان مظنوناً فيخفف ، وإنْ كان مشكوكاً به أو محتملاً فيحسن التقليل منه لا للعمل بما قيل ، بل لئلا يظن بصاحبه عدم المبالاة بما قيل في حقه ؛ لأنّ ذلك من خوارم المروءة .

وقد اتبع ﷺ في معالجتها أسلوب التروّي ، وعدم التعجل والتحقيق الهادئ ليكون قراره في ذلك عادلاً ، مع المحافظة التامة على كرامة زوجته من أنْ تُخدش ، وكرامة أهلها من أنْ تُمس ، وتلك حكمة بالغة منه ﷺ في تعامله مع مثل هذه الأمور ، ولنأخذ منها الدرس البليغ إذا ما حلّ بالمجتمع مثل هكذا أمور (١١١) .

المطلب السابع
الالتزام بحسن الظن
والحرص على سمعة المؤمنين

إنَّ مما يمكن تعلمه من هذه الحادثة درساً أخلاقياً بليغاً في الظن وأدب اللسان وصونه من أنْ يتكلم الإنسان فِي ما لا يعنيه ، أو أنْ يخوض فيما لا يعلمه .

يدلّنا على ذلك قول الله تعالى : ﴿ **إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ** ﴾ (١١٢) .

قال ابن عاشور : : وفي هذا من الأدب الأخلاقي : أنَّ المرء لا يقول بلسانه إلاّ ما يعلمه ، ويتحققه ، وإلاّ فهو أحد رجلين : يقول الشيء قبل أنْ يتبيّن له الأمر فيوشك أنْ يقول الكذب فيحسبه الناس كذّاباً أو رجل مُموّهٌ مُراءٍ يقول ما يعتقد خلافه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** (١١٣) ﴾ (١١٤) .

وقال حوّى : إنَّ في قوله تعالى : ﴿ **إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ** ﴾ صورة يحسن به الإعجاز الذي يعطيك ذاته ، فالأصل أنْ يتلقى الإنسان الكلام بإذنه ثم يستوعبه بعقله وقلبه ، ثم يتكلم إليه بعد ذلك أو لا يتكلم ، ولكنّه في هذه الحادثة كان التلقي باللسان بدل الأذن والقلب وهو إشارة إلى سرعة الأخذ أو سرعة النطق دون التعقل والتدبر ، وهو مذموم (١١٥) .

إنَّ الظنّ الحَسَن هو الأساس للروابط الاجتماعية في المجتمع ، فكل فرد من أفراده بريء ما دام لا يثبت ارتكابه لجريمة من الجرائم ، وليس أساس هذه الروابط سوء الظن حيث يكون كل فرد من أفراد المجتمع مجرماً ما دام لا تثبت براءته وإن من دواعم وأولويات ضوابط الأخوة الإيمانية الظن الحسن فيما بين المؤمنين ، فلا يجوز حمل ما يصدر عن المؤمن محملاً شيئاً مع إمكان حمله على المحمل الحسن ، وإذا كان هذا الضابط مطلوباً شرعاً بين عموم المؤمنين ، فهو مطلوب طلباً آكد وأشد بين أهل العلم والدعوة وصفوف المصلحين ، فلا يجوز تأويل تصرفات أحدهم من قبل إخوانه تأويلاً شيّناً لا يليق به ، ولا يتفق مع كونه من أهل هذه الصنوف .

والخصوم أيّاً كانوا وفي أي مكان حلّوا يسعون لسوء الظن وتلفيق الاتهامات لمن له الصدارة والتأثير في المجتمع لذلك علينا أنْ نحصّن أنفسنا ونحصّن غيرنا ونعمل ضدّ هذا الأسلوب وننتفع من هذه الحادثة ونخرج منها بهذه الفقرة بجعل أسلوب لضوابط أشار إليها القرآن الكريم في حديثه عن أهل الإفك وإنْ صحّ التعبير فبالإمكان أنْ نطلق عليها : ضوابط الوقاية من التهم والتلفيقات وهي :

الضابط الأول : الظن الحسن فيما يسمعه عن إخوانه المؤمنين وأنْ يتذكر قوله تعالى في تحذيره للمؤمنين : ﴿ **لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ** ﴾ (١١٦) .

الضابط الثاني : عدم الاكتفاء بالظن الحسن في القلب بالنسبة لما يسمعه عن إخوانه من أقوال السوء ، وإنما عليه أنْ ينفيه بلسانه ويصرّح بهذا النفي ، لأنَّ المنكر الظاهر يدفع بشيء ظاهر مثله .

الضابط الثالث : عدم الاكتفاء بحسن الظن والتصريح بنفي وإنكار مقالة السوء ، بل على المسلم أنْ لا يسمح بتسرّب شيء إلى نفسه مما يخالف الظن الحسن ، وإذا حصل مثل هكذا أمر في نفسه فلا يجوز أنْ يتكلم به ، بل يردد بلسانه حتى يُسمع نفسه وغيره قول الله القائل : ﴿ **وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ** ﴾ (١١٧) .

الضابط الرابع : أنْ يبعد المسلم عن نفسه أيّ ميل أو محبة أو رغبة في إشاعة الفاحشة ، ونهش الأعراض ، واتهام الغافلين المؤمنين ، ويعرف من نفسه حصول شيء مما ذكرنا فيها ، إذا شعر بلذة في سماع أقوال السوء أو رغبة في ترديدها أو في قوله سمعت كذا وكذا من مقالة السوء ، متذكرين قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** (١١٨) ﴾ (١١٩) .

وأخيراً فإنّ مما يجدر بالذكر ذكره أنَّ على أبناء الأمة أجمع أنْ ينظروا إلى ذنوبهم مهما صغرت كأنها جبال توشك أنْ تقع عليهم ، وأنْ لا يستهينوا ولا يستصغروا أي ذنب ، وأنْ يعلموا بأنّ الأقوال كباقي الذنوب ، وأنّ خطورتها عظيمة جداً لسهولة النطق بها ، ولنحذر كل الحذر من زلات اللسان ومن النطق بما يسخط الله ، ويؤذي المؤمنين والمؤمنات ، فرُبّ كلمة لا يلقي قائلها لها بالاً تهوي به في جهنم ، وهل أهلك أهل الإفك إلاّ كلامهم الباطل واتهامهم الآثم البغيض ، ولقد جاء في الحديث ما يعضّد ذلك من قوله ﷺ : (إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبيّن فيها ، يزلّ بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب) (١٢٠) ، وقوله ﷺ : (ما يتبيّن فيها) : أي ما يتفكّر أهي خير أم شر ، والعياذ بالله (١٢١) .

المطلب الثامن
النهي عن الإشاعة
ووجوب التثبّت من الأقوال والتأكد من صحتها

لقد أُخذت هذه الفقرة من قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي**

الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٢٢)
وشيوع الفاحشة هو القذف كما بيّن آنفاً وهذا النوع تكمن خطورته
بمساسه للجانب الأخلاقي ، وقد يكون له من الآثار ما يؤدي إلى التنفير وتشويه السمعة وإرباك الصفوف واضطرابها كما وأنه يؤدي إلى توهين العزائم
بالإضافة إلى الأذى الذي يحدثه في أعماق النفوس .
والشائعات أنواع ولكن هذا النوع من أخطرها (إشاعة الفاحشة) فهو السهم الذي وجهته حركة النفاق إلى قلب الجماعة الإسلامية متمثلاً بزوجة نبيهم وابنة صدّيقهم أبي بكر ﷺ (١٢٣) .
إنَّ هنالك مَنْ يظن أنَّ منهج الإسلام إزاء الإشاعات التي يطلقها العدو هو التثبّت والتحقيق والمحاكمة القضائية ، ولكن الذي يعرف طبيعة الحرب النفسية وأهدافها يعلم أنَّ هذا المنهج غير سديد ، لأنّه في الكثير من الأحيان تكون الإشاعة قد أتت ثمارها السيئة وفعلت فعلها في النفوس قبل أنْ يتمكن رجال التحقيق من الوصول إلى الحقيقة .
لذلك فإشاعة الإفك ما كان لها أَنْ تأخذ مداها لولا أنَّ بعض الصحابة قد توقف كما فعل سيدنا علي ﷺ حيث قال لرسول الله ﷺ : (لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك) .
والحق أنَّ سيدنا علي ﷺ وغيره من الصحابة ﷺ قد دفعهم الورع وحبّ التثبّت أَنْ لا يقولوا كلاماً بلا حجة ظاهرة ، إلاّ أنَّ القرآن الكريم جاء ليصحّح الموقف وليبيّن قاعدته الذهبية في التعامل مع هذا النوع من الحرب الذي ما كان للصحابة حينها الخبرة الكافية فيه ، ولقد قال الله لهم : ﴿ **لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ** ﴾ (١٢٤) .
والقرآن الكريم هنا يدعو إلى سرعة التكذيب والجزم بأنه إفك مبين بناءً على حسن الظن بالمؤمنين ، وليس بناءً على مجالس التحقيق ، بل القرآن عَكَسَ القضية تماماً ليجعلها في وضعها الصحيح ، فليس النافي هنا يحتاج إلى الحجة والبرهان ، وإنّما مطلقوا الإشاعة هم الذين يحتاجوا إلى ذلك ، فقال تعالى : ﴿ **لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ** ﴾ (١٢٥) .
إنَّ العدو لا يهمّه بعد أَنْ وقع الأمر أَنْ يعرف الناس الحقيقة أو لا يعرفون ، طالما أنَّ الغرض من الإشاعة قد تحقق بالفعل
والتوقف فيها ورعاً وتثبتاً قد يمنحها بعض المصداقية ذات المفعول المديد ، وهذا هو هدف الخصم (١٢٦) .
وقد أشار ابن القيم إلى مسألة فتح بها أذهاننا وفيها حكمة بالغة ، إذ عرض سؤالاً وهو سبب توقف النبي ﷺ نفسه ، إذ المقصود بالأذى والإشاعة موجهة إليه .
والجواب : إنَّه ليس من الحكمة أَنْ يسارع بالدفاع عن نفسه ، فتريّثه وصبره وانتظاره الوحي يقطع الطريق أمام المنافقين وضعاف الإيمان .
ومع هذا فالرسول ﷺ لم يتوقف توقفاً حقيقياً حتى ينزل الوحي ، وإنَّما كان توقفاً فيه اتخاذ الإجراء المناسب بحق المنافقين والسمّاعين لهم ، ولم يقف من التهمة نفسها موقف المحايد - حاشا - ، وذلك كما وردت القصة من قوله ﷺ :
(يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلاّ خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلاّ خيراً) (١٢٧) .
والخلاصة إنَّ ردّ هذه الإشاعات بناء على سوء الظن بمصادرها أو على حسن الظن بالمؤمنين هو المنهج القرآني ، بل حتى لو كان الخبر بذاته حقيقة فلا نُلامُ نحن على سوء الظن بقائله إذا كان من جهة العدو المتربص بنا أو كان من أصحاب السوابق الكاذبة فالأصل فيهم الخداع والكذب .
والقرآن الكريم إذ يعرض لنا أنموذجاً واضحاً من ذلك النبي يعقوب عليه السلام ، إذ جاء إليه أبناؤه عشاءً يبكون بعد ما فعلوه بيوسف عليه السلام فقال : ﴿ **قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً** ﴾ (١٢٨) ، وكانت القرائن تشهد بكذبهم ولكن في المرة الثانية لما دبّر يوسف عليه السلام الأمر ليبقى أخاه الصغير معه فرجع الأخوة إلى أبيهم قائلين : ﴿ **وَمَا شَهِدْنَا إِلاّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ * وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** ﴾ (١٢٩) ، أجاب يعقوب عليه السلام : ﴿ **قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً** ﴾ (١٣٠) ، مع أنَّهم كانوا هذه المرة صادقين ، والقرآن الكريم لم يصحح ليعقوب عليه السلام قولته ؛ لأَنَّ قولته صحيحة من حيث المنهج العام ، فالظن السيئ بأهل السوابق هو الصحيح ، وإنْ صدقوا في جزئية ما أو في موقف ما (١٣١).
لقد وضع القرآن الكريم منهاجاً لمكافحة هذا النوع من الإشاعة نلخّصها في أمور :
(١) رد الإشاعات اعتماداً على حسن الظن بالمؤمنين : ﴿ **لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ** ﴾ (١٣٢) .
(٢) حقّ الدفاع عن النفس والبيان وإظهار الأدلة التي كشفت زيف هذه الإشاعات فيقول القرآن الكريم : ﴿ **لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاّ مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً** ﴾ (١٣٣) ، وعلى لسان سيدنا يوسف عليه السلام وذلك من قوله :
﴿ **قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي** ﴾ (١٣٤) .
وقد مرّ بنا قول رسول الله ﷺ في حديث الإفك : (من يعذرني في رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلاّ خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلاّ خيراً) ، وليس هذا فحسب ، بل يعلمنا القرآن الكريم النظر في القرائن فيقول : ﴿ **إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾ (١٣٥) .
ومن هنا يمكن التنبيه على موضوع مهم ، فإننا نجد أنَّ كثيراً من الدعاة يتعرض لسيل من الاتهامات من قبل أعداء الإسلام وربما وسائل الإعلام ، ويرى أنَّ الدفاع عن نفسه تعالياً واستنكافاً من النزول إلى هذا الحضيض ، إلاّ أنَّ الصحيح هو أنَّ كثيراً من الناس لا يعرفون الحقيقة ، ولو نزل الدعاة إلى مستوى واقع الناس لما شاع في وقت ما أنَّ علماء المسلمين عملاء

ومأجورين ويستغلون الدين لابتزاز السذّج من أبناء الأمة ... والخ ، ولقد أعطانا سيدنا يوسف عليه السلام المثل الرائد : ﴿ **قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ** ﴾ (١٣٦) ، وكانت النتيجة : ﴿ **الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ** ﴾ (١٣٧) ، وما كان للحقّ أنَّ يحصحص لو بقي يوسف لائذا بالصمت .

(٣) معاقبة مروجي هكذا إشاعات حتى لو كانوا داخل الصف من الذين تزلّ بهم القدم ، فالحزم هو الذي يحسم هذا الداء ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٣٨) ﴾ (١٣٩) .

.

المطلب التاسع
وقوع المسلم في الخطأ
وإشاعة روح العفو والصفح عند المسلمين

لقد دعا القرآن الكريم إلى العفو والصفح والإصلاح والإحسان ، وقد كثرت هذه المعاني في القرآن الكريم لتتناول شتى الإشكالات التي من الممكن أَنْ تحدث في المجتمع ، ولنقرأ النموذج الذي نحن بصدده من قوله : ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ (١٤٠) .

وللآية نظراء بهذا المعنى وذلك من قوله تعالى : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ (١٤١) .

وكذلك من قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ (١٤٢) .

لقد جاءت الآيات والآية الواقعة في الحادثة لتقي المجتمع من لوث الإشكالات ورفع الضغائن والاختلافات وإشاعة روح العفو والمسامحة الأخوة .

ولننظر يوم أَنْ حلف الصديق رضي الله عنه على أَنْ لا ينفق على مسطح بن أثاثة بعد انزلاقه في الحادثة ، فكيف يؤمر الصديق رضي الله عنه بالعفو والصفح عن رجل اتهم ابنته بالفاحشة وما كان للصديق إلاّ أَنْ يستجيب لأمر الله (١٤٣) .

إنَّ نظرة متفحصة للموقف ومن جميع جوانبه الاجتماعية والنفسية والأخلاقية على السواء تجعلنا نعلم إلى أي مدى وصل القرآن الكريم بإتّباعه ، فمسطح قد أخطأ ونال جزاء خطئه ، ولكن لا ينبغي أَنْ يبقى أثر هذا الخطأ في النفوس ؛ لأنّ هذا هو ما يهدف إليه أعداء الإسلام ، ومصلحة الإسلام في هذه المعارك الخطيرة فوق كل اعتبار ، ويا حبّذا لو تدبّر المسلمون اليوم هذا الدرس .

ولننظر جيداً إلى مراد الله من الصديق رضي الله عنه ثم للأمة ، فالنص لم يتوقف بالعفو بل تعدى إلى أكبر منه ألا وهو الصفح ، فالعفو متمثلاً بأَنْ تسامح من أساء بحقك ، لكن قد تذكر إساءته وليس على سبيل الفضيحة والتشهير بل على سبيل إساءته إليك في يوم ما .

أما الصفح مع العفو فهو أَنْ تنسى الأمر بالكلّية دون أَنْ تذكر منه شيئاً تصريحاً كان أو تلميحاً ، فلا يبقى منه شيئاً البتّة ، وهذا بمثابة قول الآخر للآخر: (اقلب صفحة واعتبر الأمر وكأنه لم يكن) وهذا في غاية وقمة التسامح والعفو في المجتمع الإسلامي المثيل .

ومع كل الذي سبق فعلينا أَنْ ندرك أنَّ مجتمعنا الإسلامي ليس مجتمعاً ملائكياً ، فقد يقع البعض في مكايد المنافقين من حيث لا يشعر ، وكما هو معلوم في السيرة يوم أَنْ صاح رجل من الأوس يا للأوس والخزرجيّ يا للخزرج وذلك يوم ذكّرهم الفتى اليهودي بيوم بعاث ، وكذا ما نحن بصدده من إيقاع مَنْ وقع في شبائك المنافقين وهم حسّان ومسطح وحمنة وقالوا بمقوله أهل الإفك ، كذلك ما حدث لماعز والغامدية مما هو مشهور من قصتيهما .

والذي نستفيده من هذه الحادثة أنَّ المسلمين بحاجة إلى الحركة الحقيقية ، فأجواء السكون والركود تكوّن البيئة الخصبة لنمو جراثيم الفرقة والخلاف وانتشار الشهوات والشبهات ، كذلك علينا أَنْ نحذر كل الحذر مما سماه الله وحذرنا منه ، إذ كان السبب الرئيسي : هو الشيطان بخطواته المنكرة الشعواء ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (١٤٤) .

والآية لها متعلق بالآية التي نحن بصددها لعلاقة مناسبة فيها كما هو واضح من خلال النص .

فمسالك الشيطان كثيرة وهي التي تبعد المسلمين عن الالتزام بشريعة ربهم ولاسيما في زماننا فالأحكام الوضعية المخالفة

لأحكام الشريعة الإسلامية هي من مسالكه التي تؤدي إلى شيوع الفواحش والمنكرات ، فهو في خطواته أعظم داعية فإنْ

لم يشغلك بالشر عن الخير شغلك بالخير إلى الخير وأضاع على الإنسان الوقت والعمر .

فدأبه مستمرٌ بفعل الفواحش والمنكرات وهو ما ينكره الشرع من التبرج والاختلاط وكشف العورات المؤدية إلى انتشار الزنا وانحلال الأسر واختلاط الأنساب وهو ما ابتليت به أكثر المجتمعات الإسلامية بسبب إعراضها عن شرع الله وتقليدها للأمم الغربية الكافرة ، وتطبيقها لقوانينهم الوضعية التي دأبت على نشر الفساد وتمكينه من نفوس الناس (١٤٥) .

وعودة على ذي بدأ ، فعلى الأمة أَنْ تعلم أنَّ المؤمن قد يقع في الخطيئة كما وقع بعض المؤمنين في هذه الجريمة مع علوّ مقام السيدة عائشة ومنزلتها من رسول الله ﷺ ، كما وعلينا أَنْ ننتبه إذا ما طُعن بأهل الفضل والوجاهة والمرجعية من قبل أهل النفاق سواء بعرض أو بإثارة شبهة أو طعن في المنهج والمسير .
كما وعلينا أَنْ نشيع بيننا حبّ العفو والصفح ، فيصفح بعضنا عن الآخر إذا صدرت منه إساءة أو تقصير ، فإنَّ الشأن بالأخ العفو والصفح عن أخيه ، ولنتذكر بأنَّ الجزاء من جنس العمل ، فإذا عفونا عن المسيء ، جازانا الله بالعفو عن زلاتنا وذنوبنا متذكرين النص القرآني الذي جعله الله شرعة لمن أراد ، لا شعاراً يتقول فيه المتقولون بدون عمل ، : ﴿ **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (١٤٦) ﴾ (١٤٧) .

المطلب العاشر
أثر النفاق السيئ في حياة المسلمين ودوره في زعزعة المجتمع الإسلامي

لقد أراد المنافقون الهزيمة كلّ الهزيمة للمسلمين في ميدان الأخلاق الذي كان ميداناً حقيقياً لتفوقهم وتقدمهم ، ونحن إذ نجد أنَّ الله تعالى بَدَلَ أَنْ يؤنبهم على أعمالهم الرذيلة وحملاتهم الشنيعة على أخلاق المسلمين أو يحرّض المسلمين على ردّ حملاتهم ، وجه اهتمامه إلى دعوة المسلمين إلى سدّ ما في جبهتهم الخلقية ومواضع الخلل فيها وإحكامها وتوثيقها (١٤٨) .
إنَّ معارك النفاق النفسية والإعلامية لا تقلّ خطورة عن المعارك العسكرية ، بل تفوقها أحياناً في أثرها وخطرها .
ولعل الحادثة كانت معركة من أضخم المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ ، لكنه خرج منتصراً ، كاظماً لآلامه الكبار ، محتفظاً بوقار نفسه ، وعظمة قلبه ، وجميل صبره ، فلم تُؤثَر عنه كلمة واحدة تدلّ على نفاذ صبره ، وضعف احتماله ، والآلام التي تُناوشه لعلها من أعظم الآلام التي مرّت به في حياته ، والخطر على الإسلام من تلك الفِرية من أشدّ الأخطار التي تعرض له في تاريخه (١٤٩) .
وهكذا عاش رسول الله ﷺ وأهل بيته ، وعاش الصديق وأهل بيته ، وعاش صفوان بن معطل وعاش المسلمون جميعاً شهراً كله في مثل هذا الجو الخانق ، وفي ظل تلك الآلام الهائلة بسبب تلك الحادثة .
وإنَّ الإنسان ليقف متململاً أمام هذه الصورة الفظيعة لتلك الفترة الأليمة في حياة الرسول ﷺ وأمام تلك الآلام العميقة اللاذعة لعائشة زوجهُ المقرّبة وهي فتاة صغيرة مليئة بالحساسية المرهفة والرفرفة الشفيفة (١٥٠) .
وبالتأمل والتدبر ينكشف لنا أنَّ العلل الداخلية والأمراض الكمينة إذا بقيت خفية تفاقم شرّها وعظم ضُرُّها ، وصار من المتعذر معالجتها واستئصالها ، فمن الخير ظهور آثارها مع بدايتها لتدارك علاجها واستئصال دائها .

وهذا ما حصل فعلاً بالنسبة للحادثة ، فقد كشفت للمسلمين أنَّ المنافقين لا يفتؤون ينتهزون كل حدث للإفساد ، ولإشاعة البلبلة والاضطراب ، وشقّ صفوف المسلمين وهدم وحدتهم وتمزيقها ، بما ينشرون من أكاذيب ومفتريات وأنواع من الإفك ، وما يذيعونه من إرجافات .
فعلى جماعات المسلمين أَنْ يكونوا يقظين حذرين ، لا يستجيبون لدسائس المنافقين ووساوس المغرضين وهمسات الأعداء المخالطين (١٥١) .
كذلك ، عليهم الإطلاع لمعرفة صفاتهم وأقوالهم من التشكيك بوعد الله أو تثبيط همم المؤمنين ، وغير ذلك ، قال تعالى عن المنافقين : ﴿ **وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ** ﴾ (١٥٢) ، أي في فحواه ومعناه وإنْ لم يصرّح به ، فيعرف عندها من خلال كلامه من أي الحزبين هو ، من أهل الإيمان أم من أهل النفاق ، كما قال عثمان ﷺ : ما أسرّ أحدٌ سريرة إلاَّ أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه .
ووجه الحذر منهم : التفطن لما يريده المنافق من إشاعة الفُرقة والتُهم بين المؤمنين ، وإيقاع الشر فيما بينهم ، واتهام الأخيار والقادة والشرفاء بينهم .
وعلى الدعاة من أهل العلم والإصلاح وجماعاتهم أنْ يعلموا علم اليقين أنَّ تجمعهم الإيماني لا يجعلهم في نجوة وصيانة من التأثر بمقالات أهل النفاق وقيام بعضهم بنقلها وإنْ كانوا ليسوا منافقين ، كما فعل بعض المؤمنين الذين تأثروا بمقالة أهل الإفك ، ففي مجتمع الصحابة الكرام وهو مجتمع إيماني ، وُجِدَ فيه من يسمع للمنافقين ويتأثر بأقوالهم ، قال تعالى : ﴿ **لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** ﴾ (١٥٣) ، وكذا في قوله :(**وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ** ﴾ أي : فيكم أيها المؤمنون نمّامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم ، أو فيكم سمّاعون منافقون يطيعونهم ، فعلى الدعاة والمصلحين وأهل العلم الأخذ بأيدي أنفسهم أولاً ثم الكشف عن مكائد المنافقين ، وتحذير إخوانهم وأنصارهم من هذه المكائد النكراء ثانياً (١٥٤) .

المطلب الحادي عشر
الحكمة الإلهية ببزوغ الخير من الشر وترسيخ الإيمان بالقدر وبيان أنّ العاقبة للمتقين

إنّ مما يتعلم من الحادثة ويعتبر درسا تطبيقيا لنا في إبراز مسالة الإيمان بالقدر خيره وشره ، وان ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وإنّ ما أخطاه لم يكن ليصيبه، وإنّ نهاية ما يمكن الوصول إليه في أمر القدر ومطمع أنظار العلماء الراسخين في شانه قد توقف عند قوله تعالى : ﴿ **وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**

وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٥٥) .

وقد جاءت هذه الحادثة نموذجا تطبيقيا لهذا المبدأ المهم من أمر القدر ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ** ﴾ (١٥٦) .

إنّ من يطّلع على مبادئ هذه الحادثة يحسبها شراً ، لما يرى في هذا الحدث الخطير من شدة البلاء على بيت النبوة وبيت الصديق والمسلمين عامتهم وخاصتهم ما قد أقضّ مضاجع الجميع حتى كشف الله الغمة وفرج الكُربة .

لكن في الوقت نفسه من يطّلع إلى ما آلت وانتهت إليه الحادثة يرى بأمّ عينيه ما غيّبتهُ الأقدار في طيات هذا البلاء من حكم وأحكام ربانية تمثل جوانب منهج الرسالة ، لَعُلِمَ حقاً بأنّها كانت خيراً ما بقي في الحياة آيات تتلى (١٥٧) .

قال الزمخشري : ومعنى كون الخيرية هو أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم ، لأنّه كان بلاءً مبيناً ، ومحنة ظاهرة ، وانه نزلت فيه آيات ، كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله ﷺ وتسلية له ، وتنزيه لأم المؤمنين رضوان الله عليها ، وتطهير لأهل البيت ، وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به ولم تمجّه أذناه ، وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة ، وفوائد دينية وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها (١٥٨) .

وقال ابن العربي : حقيقة الخير ما زاد نفعه على ضرّه ، وحقيقة الشر ما زاد ضرّه على نفعه ، وإنّ خيرا لا شرّ فيه هو الجنة ، وشراً لا خير فيه هو جهنم ، ولهذا صار البلاء النازل على الأولياء خيراً ، لأنّ ضرره من الألم قليل في الدنيا ، وخيره وهو الثواب كثير في الآخرة (١٥٩) .

وقد حدد أبو زهرة رحمه الله لبيان الخيرية بأمور خمسة :

أولاً : إنّ في المجتمع خبثاً يُحترس منه ، ومعرفة الداء الذي يكون في الجسم لعلاجه خيرٌ من إخفائه أو الجهل به .

ثانياً : إنّ هذا الداء لَحِقَ بالنبي ﷺ ، فعالجه بدواء من الله ، إذ ناله من الألم ما ينال البشر في هذه الحال ، ولكنه صبر على الأذى وعالج الأمر بالحكمة والروية، لا بالغضب والتسرع ، فالاتهام سبق إلى نفسه ، ولكن لم يسبق بالعمل استجابة للغضب من غير تثبّت واستيقان .

ثالثاً : إنّه لا يصحّ الإفراط في الغضب ، حتى تنحلّ قوى النفس .

رابعاً : إنّه لا يصح أنْ تُتخذ مجالس السمر للحديث في الإعراض ، واتهام الأبرياء والبريئات الطاهرات من النساء .

خامساً : إنّه لا يصح أنْ يتلقّى العلم في الإعراض عن الأسماع ، وتُردّد ما سمعت الآذان الأفواه ، بل إنّ علم ذلك يكون بالمعاينة ، وإنَّ الإفشاء شرّ في ذاته ، والستر أولى (١٦٠) .

إنّ المجتمع الإسلامي مهما عظمت تربيته وصلح حاله وارتقى فوق سائر المجتمعات ، فإنّه لا يخلو من وجود أفراد فيه يتأثرون بالشائعات الكواذب ، ويبنون الظنون الضعيفة ويتابعون بتحركاتهم أصحاب الأغراض الخاصة وأهل الأهواء ويستجيبون لوساوس المنافقين ودسائسهم .

وانكشاف مثل هكذا أمر يستدعي إلى إنزال بيانات وتشريعات ربانية ، يحمي الله بها المجتمعات الإسلامية القادمة من شرور الوقائع إذا التزموا بها وعملوا بمقتضاها .

وهو خير عظيم جلبه حدوث هذه الظاهرة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي الأول إذ كان الرسول فيه ، وكانت آيات الله وشرائعه تتنزّل عليه (١٦١) .

لقد كان باستطاعة النبي ﷺ أنْ يعطي إشارة لا ثاني لها في ضرب المسلمين لأعناق من رموه في كل شيء ، في فراشه وعرضه وقلبه ورسالته ، فهو يُرمى بذلك ويتحدث الناس به شهراً كاملاً ولكنه يصبر ويعاني الشدائد ، وعندما يأتيه الحُكم الإلهي لا يقيم الحد إلاّ على الإفراد الثلاثة من المسلمين ممن ثبت عليهم القول ولم يقمه على المنافقين .

وفي هذا درس لتهدئة أعصاب الجماعة المسلمة وكشف مكايد المنافقين ، فإنهم وإن جاؤوا على زعمهم بحملة شعواء على نظام الجماعة وشخص الرسول وأهل بيته ولكنها ما حاقت إلاّ بهم ، وما سببت للمسلمين إلاّ خيراً (١٦٢) .

وهكذا فقد انطوى هذا الدرس على حكمة إلهية باهرة استهدفت تثبيت عقيدة الإسلام ، وردّ ما قد يُعرض من شُبَهٍ عليها ، وتلك هي الخيرية التي عبّر الله عنها بقوله : ﴿ **لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ** ﴾ والعاقبة للمتقين .

الخاتمة

إنَّ ابن أبي سلول أراد بالإفك على عائشة أَنْ يرمي عدة أهداف بحجر واحد ، ففي جانبٍ طعن أشدّ ما يمكن من الطعن في عرض النبي ﷺ والصديق ﷺ ، وفي جانب آخر أراد أَنْ يضع من المكانة الخلقية للحركة الإسلامية .

وفي جانب ثالث : أراد أَنْ يشعل في داخل المجتمع الإسلامي جذوة من نار الفتنة لو لم يكن الإسلام قد بدّل طبائع أتباعه .

وها نحن وفي نهاية المطاف نأتي على نهاية الحادثة وأودّ أَنْ أسجّل خلاصة لأهم النتائج التي خلص إليها البحث من خلال النقاط الآتية :

١) أثبت البحث أنَّ عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين وهو المقصود بقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ . فهو المخطط والمدبّر لهذه الحادثة الأليمة التي تعرّض لها البيت النبوي الطاهر .

٢) أثبت البحث بيان مكانة ومنزلة بيت النبوة ، ورفعة شأنهم ، وإنهن أمهات طاهرات ، مبرآت من الأدناس والأرجاس ، ينبغي على الأمة توقيرهنّ والترضّي

عنهنّ ، وكذا بيت الصديق وأسرته بإشاعة روح العفو والصفح المتمثلين به رضي الله عنه وعنهم أجمعين .

٣) كشف البحث عن أسلوب من أساليب النبي ﷺ في معالجة المشكلات الزوجية ألا وهو أسلوب التروي والتثبت وعدم التعجّل ، والتحقيق الهادئ رغم حدة المشكلة للوصول إلى القرار العادل في معالجة مثل هكذا مشكلات .

وهو نموذج يمكن أَنْ يدخل في إطار إدارة الأزمات فهو جانب مهم من جوانب الحياة النبوية التي ينبغي العناية بها وتوجيه الدارسين لها وإسقاطها على أرض الواقع للانتفاع منها .

٤) أنّها كانت سبباً من أسباب زيادة عظيمة في قوانين الإسلام وأحكامه وقواعده للحياة الاجتماعية ، وقد تلقى فيه المسلمون من الله تعالى تعاليم إذا ما عملوا بها سلِمَ مجتمعهم من نشوء المنكرات والفواحش ، ومن السهل تداركها إذا ما نشأت واستفحلت .

٥) إبراز شخص النبي ﷺ في صبره وتؤدته مع مصابه بالحدث الجلل وعدم الإسراع بالحكم مع استهدافه بأنواع من المحن والإيذاء . وكذا إبراز شخصه المجرد بإنسانيته وما أدلّ عليه بمثل هذه الحادثة ، إذ لو كان كما ادّعى أهل الشرك لكان الأوْلى به أَنْ يبرئ عرضه مما هو فيه .

٦) كشف البحث عن جانب من جوانب المعارك النفسية والإعلامية التي قادها أهل النفاق ، وبين منهج النبي ﷺ في الردّ عليها ومجابهتها ، وكيف كان لهم الدور الأساسي في زعزعة وتفكيك الصف المسلم ، وذلك عن طريق التحري عن حقيقة الإشاعة إذا أشيعت في المجتمع وضرورة التثبّت والتبيين في كلّ ما يذاع ويشاع عامة وفيما له مساس بالأعراض خاصة .

٧) إثارة الوعي العام عند المسلمين بما يجري حولهم وما يخطط لهم ، فقد رسم لنا القرآن منهجاً لمعالجة آثار مثل هكذا حوادث ونبّه المسلمين على الحيطة والحذر من الوقوع فيها ، كما وأنّه شجّع المؤمنين على العفو والصفح والصلح ونسيان الماضي إذا ما وقع جماعة منهم وتلوثوا بلوث الحوادث ، فشِيَمُ الكرام العفو والصفح والإحسان .

٨) يوصي الباحث بدعوة العلماء المختصين في علم النفس والاجتماع وعلم الإدارة وعلم الشريعة للاستفادة من حياة النبي ﷺ في مجال اختصاصاتهم ، والمشاركة في كتابة السيرة النبوية بلغة معاصرة يفهمها جميع المختصين على اختلاف أجناسهم ، خدمة لدين الله ولسنّة نبيّه ﷺ .

والله أسأل أنْ يوفقنا لسداد القول وإخلاص العمل ، وأنْ يبصّرنا وأمتنا طريق الرشد وسبيل العزة وأنْ يهيئ لها أمر رشد يُعزّ فيه أهل طاعته ويذلّ فيه أهل معصيته إنَّه سميع قريب مجيب .

المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن ، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت .

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٣- الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، دار السلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٤- البداية والنهاية للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، مكتبة المعارف ، بيروت .

٥- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس .

٦- التشريع والهداية في سورة النور ، عبد الحميد محمود طهماز ، دار القلم ، دمشق والدار الشامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

٧- التفسير الكبير ، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، دار الفكر ، بيروت .

٨- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، للدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، الطبعة الثامنة ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٩- الرحيق المختوم ، صفي الدين المباركفوري ، دار الوفاء ، مصر ، المنصورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .

١٠-السيرة النبوية ، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، تحقيق : عبد السلام علوش ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

١١-السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، للدكتور علي محمد الصلابي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

١٢-الشفا في حقوق المصطفى ، للقاضي عياض ، تحقيق : أسامة الرفاعي وزملائه ، دار الفيحاء ، الأردن ، الطبعة الثانية .

١٣-الكامل لأبن الأثير ، دار صادر ، بيروت .

١٤-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي قاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٥-المجلة الأحمدية ، العدد الخامس ، تصدر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي ، محرم ١٤٢١هـ - نيسان ٢٠٠٠م .

١٦-المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ، للدكتور عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

١٧-المعجم الكبير لأبي قاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، طبعة وزارة الأوقاف العراقية .

١٨-المغازي ، محمد عمر الواقدي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .

١٩-النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ، للدكتور محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م .

٢٠-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٢١-تاريخ الطبري ، للإمام محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .
٢٢-تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركائه .
٢٣-تفسير سورة النور ، لأبي الأعلى المودودي ، دار الفكر .
٢٤-دراسة في السيرة ، الدكتور عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
٢٥-روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن ، محمد علي الصابوني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٢٦-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٢٧-زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن القيم الجوزية أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي ، دار الفكر ، بيروت .
٢٨-زهرة التفاسير ، للإمام الجليل محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
٢٩-صحيح مسلم ، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٣٠-ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ ، للشيخ عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٣١-عائشة أم المؤمنين أيامها وسيرتها الكاملة في صفحات ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفارابي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
٣٢-فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار السلام ، الرياض ودار الفيحاء ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م .
٣٣-فقه السيرة ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، الطبعة الثامنة ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
٣٤- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة وبيروت ، الطبعة الرابعة والثلاثون ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م .
٣٥-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لعلي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .
٣٦-محاسن التأويل ، للإمام العلامة محمد جمال الدين القاسمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٣٧-محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، محمد الصادق عرجون ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م .

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة وبيروت ، الطبعة الرابعة والثلاثون ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م : ٢٥٠١/٤ .

(٢) سورة النور : من الآية : ١١ .

(٣) سورة النور : الآيات (١١-٢٦) ورد في حادثة الإفك ست عشرة آية ، وهو المثبت في المصحف الشريف . قال الآلوسي في كتابه روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان : ١١٥/١٨ : فمنهم من قال أنها خمسة عشرة آية ومنهم من قال ثماني عشرة آية وكأن منشأ الخلاف على رؤوس الآي والله أعلم .

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت : ١٦٠/٦ .

(٥) روح المعاني : ١٦٨/١٠ .
(٦) إرشاد العقل السليم : ١٦٠/٦ .
(٧) محاسن التأويل ، للإمام العلامة محمد جمال الدين القاسمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م : ٢٧٠/٥ .
(٨) ينظر : روح المعاني : ١٧٤/١٠ .
(٩) إرشاد العقل السليم : ١٦١/٦.

(١١) المصدر السابق : ١٦٢/٦ .
(١٢) روح المعاني : ١١٩/١٨- ١٢٠ .
(١٣) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس : ١٨٠/١٨.
(١٤) إرشاد العقل السليم : ١٦٣/٦ .
(١٥) المصدر السابق : ١٦٤/٦ .
(١٦) محاسن التأويل : ٢٧٣/٥ .
(١٧) ينظر : الظلال : ٢٥٠٤/٤ .
(١٨) إرشاد العقل السليم : ١٦٤/٦ .
(١٩) ينظر : الظلال : ٢٥٠٤/٤ .
(٢٠) إرشاد العقل السليم : ١٦٥/٦ .
(٢١) ينظر : المصدر السابق : ١٦٤/٦-١٦٥ .
(٢٢) الظلال : ٢٥٠٥/٤ .
(٢٣) روح المعاني : ١٢٨/١٨ .
(٢٤) المصدر السابق : ١٢٧/١٨ .
(٢٥) التحرير والتنوير : ١٩١/١٨ .
(٢٦) إرشاد العقل السليم : ١٦٧/٦ .

(٢٧) هو خرز معروف في سواده بياض كالعروض وهي مدينة باليمن .
(٢٨) هم الجماعة من ثلاثة إلى عشرة .
(٢٩) البلغة من الطعام .
(٣٠) صحابي جليل كان صاحب ناقة رسول الله ﷺ في غزواته .
(٣١) أي سار آخر الليل .
(٣٢) أي بقوله : إنا لله وإنا إليه راجعون .
(٣٣) الوغرة شدة الحرّ .
(٣٤) وهي لمؤنث مثل ذاكم للذكر .
(٣٥) هي المواضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة .
(٣٦) كنف : جمع الكنيف : المكان الساتر .
(٣٧) مِسطَح بنُ أثَاثة بن عباد بن عبد المطلب : توفي في خلافة عثمان رضي الله عنهما .
(٣٨) أي وطئته برجلها فسقطت .
(٣٩) يا بلهاء كأنها نسبت إليّ قلّت المعرفة بمكائد الناس وشرورهم .
(٤٠) الوضاءة : الحُسن والبهجة .
(٤١) أي القول في عيبها .
(٤٢) أي لا ينقطع ولا يسكت .
(٤٣) أي أعيبها به وأطعن بها عليه .
(٤٤) هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم .
(٤٥) أي قال من يقوم بعذري إنْ كفأته على سوء صنيعه .
(٤٦) هو صفوان بن المعطل .
(٤٧) أي حملته الأنفة والغضب على الجهل .
(٤٨) التقيد بالشهر فهو المدة التي أولها إتيان عائشة على بيت أبيها .
(٤٩) كناية عما رميت به عن الإفك .
(٥٠) أي ارتفع وذهب .
(٥١) هو يعقوب عليه السلام .
(٥٢) سورة يوسف : من الآية : ١٨ .
(٥٣) أي ما برح وما فارق مجلسه .
(٥٤) شدة الكرب من ثقل الوحي .
(٥٥) اللؤلؤ الصغار .
(٥٦) أي انكشف عنه ما يجده من الهم والثقل .
(٥٧) سورة النور : الآيات : ١١-٢٠ .
(٥٨) سورة النور : الآية : ٢٢ .
(٥٩) تعاليني وتفاخرني أي تطاولني عنده ﷺ .
(٦٠) أي حفظها ومنعها .
(٦١) أي الكف عن المحارم والتحرج منها .
(٦٢) أي شرعت .
(٦٣) أي حمنة بنت جحش .
(٦٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار السلام ، الرياض ودار الفيحاء ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م : رقم الحديث (٤٧٥٠) ، ٥٧٨/٨ .
(٦٥) المعجم الكبير ، لأبي قاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، طبعة وزارة الأوقاف العراقية : ١٥١/٢٣، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لعلي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ : ٢٣٦/٩ ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .
(66) ينظر : المغازي ، محمد عمر الواقدي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت : ٤٠٤/١ ، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت : ٣٤٩ ، وزاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن القيم الجوزية أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي ، دار الفكر ، بيروت : ٢٣٣/٣ ، والسيرة النبوية ، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، تحقيق : عبد السلام علوش ، المكتب الإسلامي ، بيروت : ١٦٢ ، وفقه السيرة ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، الطبعة الثامنة ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م : ٢٠٢ .
(٦٧) تاريخ الطبري ، للإمام محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م : ٦١٤/٢ ، والكامل لأبن الأثير ، دار صادر ، بيروت : ١٩٢/١ ، والبداية والنهاية للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، مكتبة المعارف ، بيروت : ١٥٦/٤ ، والرحيق المختوم ، صفي الدين المباركفوري ، دار الوفاء ، مصر ، المنصورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م : ٤٣٥ ، والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، للدكتور علي محمد الصلابي ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م : ٥٧٣ .
(٦٨) فتح الباري : ٥٨٧/٨ .
(٦٩) سورة الأحزاب : من الآية : ٣٣ .
(٧٠) سورة الأحزاب : من الآية : ٣٣ .
(٧١) سورة الأحزاب : من الآية : ٦ .
(٧٢) الشفا في حقوق المصطفى ، للقاضي عياض ، تحقيق : أسامة الرفاعي وزملائه ، دار الفيحاء ، الأردن ، الطبعة الثانية : ١٠٤/٢ .
(٧٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه : ٤٨٣/٣ .
(٧٤) روح المعاني : ٢٧/١٢ .
(٧٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي قاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت : ٢٢٨/٣ .
(٧٦) إرشاد العقل السليم : ١٦٧/٦ .
(٧٧) ينظر : فتح الباري : ٦٠٦/٨ .
(٧٨) تفسير سورة النور ، لأبي الأعلى المودودي ، دار الفكر : ١٣٠ .
(٧٩) المغازي : ٤٢٦/٢ .
(٨٠) فتح الباري : ٦٠٦/٨ .
(٨١) المغازي : ٤٣٣/٢ .
(٨٢) فتح الباري : ٦٠٤/٨ .
(٨٣) فتح الباري : ٥٩٣/٨ .
(٨٤) ينظر : الظلال : ٢٥٠٥/٢ .
(٨٥) التفسير الكبير ، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، دار الفكر ، بيروت : ١٨٧/٢٣-١٨٨ .
(٨٦) المودودي : ١٢٤- ١٢٥ .
(٨٧) تاريخ الإسلام : ٢٨١ .
(٨٨) سورة الكهف : الآية : ١١٠ .
(٨٩) المودودي : ١٢٦ .
(٩٠) زاد المعاد : ٢٣٠/٣ .
(٩١) فقه السيرة : ٢٨٨ ، وعائشة أم المؤمنين أيامها وسيرتها الكاملة في صفحات ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفارابي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م : ٥٣ .
(٩٢) سورة الحاقة : الآيات : ٤٤- ٤٧ .

(٩٣) النبأ العظيم ونظرات جديدة من القرآن ، دكتور محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م : ٢٤ .
(٩٤) فقه السيرة : ٢٨٨ ، وعائشة أم المؤمنين : ٢٣ .
(٩٥) فقه السيرة : ٢٨٥ .
(٩٦) التفسير المنير في العقيدة والمنهج ، الدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، الطبعة الثامنة ، ٢٠٠٥م : ٥١٨/٨ .
(٩٧) عائشة أم المؤمنين : ٥١ ، وينظر : محاسن التأويل : ٣٤٤/٧ .
(٩٨) فقه السيرة : ٢٨٦ ، وعائشة أم المؤمنين : ٥٢ .
(٩٩) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ، الدكتور عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م : ٣٢٠/٢ .
(١٠٠) سورة النور : من الآية : ٢٦ .
(١٠١) ينظر المودودي : ١٢٣ .
(١٠٢) التحرير والتنوير : ١٩٤/١٩ .
(١٠٣) محاسن التأويل : ٢٧٤/٥ .
(104) زهرة التفاسير ، للإمام الجليل محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة : ٥١٧٣/١٠ .
(١٠٥) الظلال : ٢٥٠٥/٤ .
(١٠٦) التفسير الكبير : ٢٣/ ١٩٥ .
(107) ينظر : روح المعاني : ١٨/ ١٣٢ .
(١٠٨) سورة النور : من الآية : ٢٦ .
(١٠٩) روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن ، محمد علي الصابوني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م : ٢/ ١٠٨ .
(١١٠) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٥٣/٤ .
(١١١) ينظر : فتح الباري :٦٠٣/٨ .
(١١٢) سورة النور : الآية : ١٥ .
(١١٣) سورة الصف : الآية : ٣ .
(١١٤) التحرير والتنوير : ١٧٨/١٩ .
(١١٥) الأساس في التفسير ، سعيد حوّى ، دار السلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م : ٢٧٢٦/٧ .
(١١٦) سورة النور : الآية : ١٢ .
(١١٧) سورة النور : الآية : ١٦ .
(١١٨) سورة النور : من الآية : ١٩ .
(١١٩) ينظر : المستفاد ٣١٨/٢ – ٣١٩ .
(١٢٠) صحيح مسلم ، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت : ٢٢٩٠/٤ .
(١٢١) ينظر : المستفاد : ٣٢٠/٢ .
(١٢٢) سورة النور : الآية : ١٩ .
(١٢٣) دراسة في السيرة ، الدكتور عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م : ٣٨٢ .
(١٢٤) سورة النور : الآية : ١٢ .
(١٢٥) سورة النور : الآية : ١٣.
(١٢٦) المجلة الأحمدية ، العدد الخامس ، تصدر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي ، محرم ١٤٢١هـ - نيسان ٢٠٠٠م : ١٥٣ .
(١٢٧) زاد المعاد : ١٢٧/٢
(١٢٨) سورة يوسف : من الأية : ١٨ .
(١٢٩) سورة يوسف : الآيات ٨١ — ٨٢ .
(١٣٠) سورة يوسف : من الآية : ٨٣ .
(١٣١) الأحمدية : ١٥٥ .
(١٣٢) سورة النور : الآية : ١٢ .
(١٣٣) سورة النساء : الآية : ١٤٨ .
(١٣٤) سورة يوسف : من الآية : ٢٦ .
(١٣٥) سورة يوسف : الآيات : ٢٦ – ٢٨ .
(١٣٦) سورة يوسف : من الآية : ٥٠ .
(١٣٧) سورة يوسف : من الآية : ٥١ .
(١٣٨) سورة النور: الآية : ٤ .
(١٣٩) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٥٠١/٤-٢٥٠٢ ، والأحمدية : ١٦٧ .
(١٤٠) سورة النور : الآية : ٢٢ .
(١٤١) سورة آل عمران : الآية : ١٥٩ .
(١٤٢) سورة الحجرات : الآيتان : ٩-١٠ .
(١٤٣) تفسير القرآن العظيم : ٢٦٧/٣ .
(١٤٤) سورة النور : الآية : ٢١ .
(١٤٥) ينظر : التشريع والهداية في سورة النور ، عبد الحميد محمود طهماز ، دار القلم ، دمشق ، والدار الشامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م : ٣٧ .
(١٤٦) سورة النور : من الآية ٢٢ .
(١٤٧) ينظر : المستفاد ٣٢٠/٢ ، وينظر : التفسير المنير : ٥٢٣/٨ .
(١٤٨) المودودي : ٢٣ .
(١٤٩) ينظر : الظلال : ٢٥٠١/٤ .
(١٥٠) ينظر : الظلال : ٢٤٩٨/٤ .
(١٥١) ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ ، الشيخ عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م : ١٠/٢ .
(١٥٢) سورة محمد : من الآية : ٣٠ .
(١٥٣) سورة التوبة : الآية : ٤٧ .
(١٥٤) ينظر : المستفاد : ٣١٧/٢-٣١٨ .
(١٥٥) سورة البقرة : من الآية : ٢١٦ .
(١٥٦) سورة النور : من الآية :١١ .
(١٥٧) ينظر : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، محمد الصادق عرجون ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م : ٢٢٤/٤ .

(١٥٨) الكشاف : ٢٢٢/٣ .

(١٥٩) أحكام القرآن ، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت : ٣٦٣/٣ .

(160) زهرة التفاسير : ٥١٥٤/١٠-٥١٥٥ .

(١٦١) ظاهرة النفاق : ١١/١ .

(١٦٢) المودودي : ١٢٤ .